



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د.مولاي الطاهر – سعيدة

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة لنيل شهادة ماستر ضمن مشروع النقد الأدبي عند العرب

المقاييس النقدية في صدر الإسلام

من إعداد الطالب: ويس مختار

تحت إشراف: الدكتور عباس محمد

لجنة المناقشة:

الدكتور مجاهد ميمون	جامعة سعيدة	رئيسا
الدكتور عباس محمد	جامعة سعيدة	مشرفا ومقررا
أستاذ مجاهد تامي	جامعة سعيدة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2015 – 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

تشكرات

الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى الذي منحني العلم والمعرفة والقدرة على إتمام هذا البحث المتواضع كما أتقدم بالشكر الجزيل الى استاذي الفاضل عباس محمد بجهوده الطيبة لإتمام هذه الدراسة والاشراف عليها.

كما أتقدم بالشكر الى أساتذة اللغة والأدب العربي في جامعة سعيدة وأشكر كل من ساهم في إتمام هذا العمل من طلبة جامعة مولاي الطاهر وخاصة اصدقائي في التخصص الذي تعاونوا معي.

ويس مختار

إهداء

الى المرأة التي حملتني في قلبها الواسع الكبير أمي الغالية أطال الله في عمرها وإلى والدي الحنون.

الى جميع إخوتي وكافة أفراد الأسرة.

الى زملائي وأصدقائي في الدراسة الذين وقفوا معي وخاصة زملائي في التخصص.

الى كل من آمن بالكلمة الطيبة لا إله إلا الله، محمد رسول الله وإجتهد بها.

ويس مختار

مقدمة

مقدمة:

تتميز فترة ما قبل الإسلام، بطغيان الشعر على الساحة الأدبية، إذ يعتبر ديوان العرب، خزانة أفكارهم والممجّد لبطولاتهم، والحامل لمختلف أعمالهم وتوجهاتهم، فنجد الشاعر يتغزل ويفتخر ويمدح ويهجو، ويرثي ... وفي كل الحالات إنما هو لسان أمته الناطق الذي يحمل سيف الكلمة بكل تجلياتها من أجل التعبير عن مختلف المواقف، ومع ظهور الإسلام وانتشار القرآن والسنة النبوية، اختلفت مضامين الشعر وتجددت وتطورت لتواكب معطيات هذا العصر وما يحمل هذا الدين من رسائل موجهة الى الأمة في شتى بقاع الأرض، وبما أن العرب اشتهروا بخاصية النظم فإن البعض خصّص كلماته للدفاع عن الإسلام ومدح الرسول صلى الل عليه وسلم في حين استخدم البعض اللغة أداة لضرب هذه الرسالة ولهجاء المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، ومن هذا المنطلق اتسعت رقعة الشعر، وتباينت مواضعه فجاء النقد في عصر صدر الإسلام مواكبا لكل هذه التغيرات، وموازيا للذوق العربي في تلك الفترة، مما ولّد ظهور بعض المعايير النقدية التي تضبط عملية تقييم الأعمال الأدبية، وخاصة الشعرية منها. ومن هذه الزاوية وقع اختيارنا على موضوع النقد في عصر صدر الإسلام، كمحاولة للإجابة على بعض الإشكاليات المتعلقة بهذا الطرح من قبل: كيف كان الشعر في هذا العصر؟ ومن أبرز الشعراء الذين تأثروا بالإسلام ودافعوا عنه وحاولوا بسيف الكلمة أن يخلقوا شعرا إسلاميا؟ وكيف تجسد النقد في عصر صدر الإسلام" وهل من شواهد تثبت إسهام الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين في هذا المجال؟ وماهي المعايير النقدية التي استعملت في هدا العصر

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على الخطة البحثية التالية: أولا مقدمة، حيث عرضنا فيها التعريف بالموضوع تليها إشكالية البحث ثم قسمنا هذا العمل الى مدخل وفصلين، تناولنا في المدخل: الشعر والشعراء في صدر الإسلام وضحنا من خلاله النقلة النوعية والمضمونية للشعر في هذه الفترة، ثم تحدثنا في

الفصل الأول عن الشعراء المخضرمين وتأثرهم بالإسلام و أبرز الأسماء التي حملت على عاتقها لواء الدعوة المحمدية، من خلال قصائدهم الشعرية

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان طبيعة النقد ومعاييره في صدر الإسلام فتعرضنا في المبحث الأول الى أهم المعايير الدينية والأخلاقية ثم في المبحث الثاني الى المعايير الفنية.

أما فيما يخص الأسباب التي دفعتنا الى ولوج هذا العالم المتعلق بالنقد في صدر الإسلام فإنها متعددة أولها الذاتية وتتمثل في رغبتي الملحة على صبر أغوار هذا التوجه لنقدي نظرا لأهميته، ولأنه من صلب تخصصي بالإضافة الى أنّه يشكل محطة بارزة في تاريخنا الفكري الإسلامي.

أما الأسباب الموضوعية فهي محاولة تقديم رؤية تتلاءم وواقع اللغة والنقد، ومحاولة وضع بصمة في هذه الميادين المعرفية التي كثيرا ما نجدها فقط في كتب الأدب، وبعض الشواهد النقدية في منأى عن مدى نجاعتها وكيفية الاستفادة منها، وهذا البحث كغيره من الأعمال التي تواجه صعوبات، أهمها نقص بعض المراجع التي تقدم رؤية واضحة المعالم عن النقد في هذه الفترة، وحصر المعايير في تلاث جوانب، ثانيا اختلاف الروايات في هذا الميدان وكثرتها وتباينها في أحيان أخرى، بالإضافة الى صعوبة الجزم في هذا الطرح.

أما فيما يخص المنهج المتبع فهو المنهج التاريخي، حيث قدمت بعض الحقائق التاريخية، وتعيين تراتيب زمنية من أول محطة الى آخرها.

واعتمدنا على بعض المصادر والمراجع منها القران الكريم، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ابن رشيق القيرواني، الشعر والشعراء ابن قتيبة، طبقات فحول الشعراء ابن سلام الجمحي

مدخل: الشعر والشعراء في صدر الإسلام

مدخل: الشعر والشعراء في صدر الاسلام

جاء الإسلام ورواية الشعر تسير في نفس الطريق التي كانت سائدة من قبل لأنها امتداد لعهد الجاهلية مع شيء من التهذيب والتوجيه، لأن دوافع الرواية للشعر اختلفت عنها في الجاهلية، وذلك تمشيا مع نهج الدين الإسلامي، ودستوره الجديد[1].

فبعد أن كانت الرواية مدفوعة بهوى النفوس الفردية، أصبحت الأن مدفوعة بما يفرضه الدين على الجماعة الإسلامية، وبعد أن كانت العصبية الجاهلية قبلية أصبح التعصب في الإسلام نوعا من النصرة والتشيع لمبادئ الدين الجديد التي واجهت ثورة المشركين وغضبهم. فأصبحت مهمة الشاعر محددة وهي العمل ضد التيار المشرك والتصدي لشعراء قريش، وفي نفس الوقت كان عليه أن يعمل من أجل تدعيم وتوطيد دعائم الدين الإسلامي كحدث جديد في المنطقة وذلك بنشر مبادئ وفهمها للناس.

ورغم حداثة الدين الإسلامي إلا أنه استطاع أن يقلب النظم والمثل التي كانت سائدة بين القبائل العربية، ومن أبرزها ثورته على ما ورثوه من عبادة الأوثان، مما سبب جرحا لمشاعرهم الدينية والقومية.

من أجل هذا هب شعراء المشركين من كل حدب وصوب ليسهموا في النيل من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي انهارت أمامه دياناتهم، فلا عجب أن تكون كمية الشعر التي خلفها شعراء المشركين من الضخامة بمكان وهي تحتاج الى من يرد عليها ويبطلها، بالكلمة الصائبة والرأي السديد. فبدأ الصراع بين المسلمين والمشركين وبدأت الحرب تشتعل بين الطرفين، يوكباها الشعر كسلاح الشعر كسلاح مساند. فكان يهجو الرسول صلى الله عليه وسلم رهط من قريش وهم ثلاثة عبد الله بن الزبعري وأبو سفيان، وعمر بن العاص وكان يرد عليهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعبد الله بن

[1] ممدوح يوسف حامد، الرواية وأثرها في النقد، دار الجليس الزمان والنشر، عمان، ط1، ص76.

رواحة، فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم، بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحة فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة.

وكان الرسول الكريم يقول للأنصار" ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم فقال حسان بن ثابت أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصفاء فقال له: كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال: إني أسلك منهم كما تُسل الشعرة من العجين"

وكان عليه الصلاة والسلام كثيرا ما يوجه حسان بن ثابت للمواطن التي ينالها في هجو المشركين، والتي تكون أكثر إيلاما من غيرها، فيبعثه إلى أبي بكر الصديق ليزوده بحقائق أنصاب قريش ويقول له: " أهجهم —يعني قريش–فواله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام، اهجهم ومعك جبريل روح القدس وألق أبا بكر يعلمك تلك الهنات"[1].

وهكذا كان الكل مشمرا عن ساعد المقاومة والدفاع عن مبادئ الدين الجديد وترسيخ دعائمه لينالوا شرف المشاركة في توطيد أركانه.

ورغم هذا فهناك من يعزي إلى الإسلام بأنه كان عاملا مؤثرا في قلة الشعر العربي. ولعل أول من أشار إلى ذلك محمد بن سلام في طبقاته حيث يقول: "وقال عمر بن الخطاب كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الإسلام. فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو الفرس والروم ولهت عن الشعر والرواية".

[1] أبو علي الحسين ابن رشيق القيرواني، العمدة لمحاسن الشعر وادابه ونقده، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار جمال، بيروت، ط4، 1972، ص18.

إن ما أورده ابن سلام فيه شيء من المبالغة، فلم تكن الحروب في يوم من الأيام ذات أثر سلبي على الشعر وروايته، بل على العكس من ذلك فرواية الشعر تلازم الحروب والغزوات، ومن بين ألوان الجهاد بالقلم واللسان وهذا يعني الشعراء والخطباء فالشعراء يدبجون القصائد الحماسية ويلقونها على أسماع المجاهدين ليثبتوا بها قلوبهم، وفي أثناء المعركة وبعد انتهائها لابد أن يشارك الشعراء في الافتخار وبإحراز النصر أو المواساة وقت الهزيمة ويشاركون في رثاء الشهداء.

وهذا كما نرى كله يدور في نطاق المعركة أو الغزوة الواحدة، فهي أغراض كانت مألوفة لديهم في الجاهلية أيضا، لم تتغير عليهم الأهداف والغايات، فبعد أن كان الفخر الجاهلي بدافع العصبية، أصبح في الإسلام من أجل تمجيد الانتصارات والإشادة بشجاعة المقاتلين، وكأن الحروب والغزوات هي التي أباحت للشاعر واستانثته دون غيره ليشيد ويفخر بموقفه وإخوانه في الصمود أمام الكفار.

في حين نهى الإسلام عن التفاخر بين المهاجرين والأنصار لأن فيه تنبيه للضغائن والحزازات.

أضف إلى ذلك أن ابتعاد المجاهدين عن موطنهم يولد فيهم نزعة الحنين ويثير فيهم الذكريات الكامنة، فيجعلهم ينطقون بالشعر في فترات خاطفة ليعبروا عن خلجات نفوسهم أو تراهم يتمثلون في شعر غيرهم.

فكانت الفتوحات الإسلامية هي التي أزكت جدوة الشعر العربي، وأطلقت الألسن من عقالها، كأنها كان الشعر الرئة التي يتنفس من خلالها ما أختزن في النفوس العربية خلال هذه الفترة[1].

وقد كان معاوية بن أبي سفيان في معركة صفين يتمثل أبيات ابن طباطبة في الحث على الثبات، ولم يكن الشعر في الإسلام مقصورا على الرجال دون النساء، فظهرت مجموعة من النساء الشاعرات كن يشاركن الجنود في إثارة حماسهم، كما كانت تفعل هند بنت عتبة والخنساء.

[1] النعمان القاضي، الشعر فنون الإسلامية في صدر الإسلام، دار الطباعة والنشر القاهرة، د.ط، 1965، ص185.

وكان للمرأة أثر كبير في الشعر الحربي فكثيرا ما تكون الملهم لزوجها أو حبيبها عندما يتردد اسمها على لسانه وذلك في مختلف العصور فهذا عنترة يخاطب حبيبته عبلة في ميدان المعركة فيقول:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهندي تقطر من دمي

فوددت تقبيل الرماح لأنها لمعت لبارق ثغرك المتبسم

ويقول أزهر بن هلال التميمي حيث انتهى من حربه يقصى على زوجته أمره، وكأنه يطلب العفو والاعتذار والصفح لما لحق به من فرار

أعاتك ما وليت حتى تبددت رجلي وحتى لم أجد متقدما

اعاتك أفناني السلاح ومن يطل مقارعة الأبطال يرجع مكتما

ومهما يكن، فالإسلام لم يكن يكره الشعر أو يقف منه موقفا يؤثر على نموه وازدهاره ولم يشغل الشعراء عنه، ولا الرواة كذلك.

بل كان مهذبا تهذيبا، يبعث فيه الحياة والقوة وموجه له توجيها يأخذ بيده نحو الطريق الصحيح، بعد أن كان يسير في طرق مشعبة الأهواء، فلا فائدة منه ترجى، كل ذلك التهذيب من أجل أن يأخذ دوره الحقيقي في خدمة الأمة الإسلامية فكان دوره إيجابيا وفعالا.

وفيما يقوله الأستاذ الجبوري، الذي يرى أن رواية القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كانتا سببا في صرف الناس عن رواية الشعر فيقول:" والحفاظ على القرآن والحديث وروايته صرف كثيرا من الرواة والحُفّاظ عن حفظ الشعر وروايته، لاسيما أن حافظ القرآن غدت مكانته الاجتماعية أكبر من راوي الشعر

والإنسان حريص على مكانته الاجتماعية ويجب أن يكون مرموقا محترما، وكان حفظ القرآن وروايته طريقا لهذه المكانة"[1].

ثم يتبع ذلك بقوله:" والواقع أن المكانة الاجتماعية والمسابقة في حيازتها هي التي ألهمت الناس عن رواية الشعر وحفظه".

إن ما جاء به الكاتب يحتاج إلى وقفة حيث أنه جعل رواية القرآن الكريم سببا في صرف الناس عن رواية الشعر، وفرق بين الشعر وإنشاء الشعر وروايته، خاصة إذا علمنا أن الشعر مطبع للقرآن الكريم وتفسيره.

وكلام ابن عباس في ذلك واضح حيث يقول إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب، وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعرا".

ومثل ذلك ينطبق على رواية الحديث ولو قال الكاتب أن تأثير القرآن والدين الإسلامي بشكل عام كان على بعض الشعراء الذين توقفوا على الإنشاد مثل: لبيد وسويد بن عدي لكان كلامه صحيحا ولا غبار علية أما الرواية للشعر فلم تتأثر بالقرآن ولا بالحديث خاصة في صدر الإسلام حيث لم يكن التخصص العلمي قد انتشر بعد فكان حافظ القرآن يروي الشعر والحديث والأخبار والقصص في آن واحد ومع تقدم الزمن وجدنا التخصص العلمي وانتشر، فمن يتخصص بالشعر لا يهتم بالقصص إلا فيما يخدم تخصصه.

فأثر القرآن على بعض الشعراء الذين توقفوا على الإنشاء، وذلك راجع إلى بلاغة القرآن ودقة إعجاز، التي بهرت هؤلاء الشعراء وانشغلوا به عن الشعر احتراما وإجلالا لقدسيته ومكانته، ولأنهم وجدوا في القرآن تكفيرا عن ماضيهم الجاهلي فتمسكوا به وتركو غيره خوفا من العقاب.

---

[1] يحيى الجهوري، الإسلام والشعر، مطبعة ارشاد، بغداد، 1964، ص8.

فرواية القرآن ترفع من المكانة الاجتماعية وكذلك الشعر، ولا تتعدى الحقيقة وإذا قلنا أن الإسلام أثر في الشعر تأثيرا كبيرا وفي الشعراء كذلك.

في الواقع إنما جاء الإسلام كثورة تصحيحية لأوضاع فاسدة وعقائد وعادات بالية، وفي نفس الوقت ليجدد معا لم المجتمع معا لم المجتمع القوي وأسسه الراسخة، وكان الشعر ضمن ما تعرض لتلك الثورة، فبعدما كانت أغراضه تدور حول العصبية القبلية والتناحر والهجاء وكل هذه الأغراض لا تتفق مع المجتمع الإسلامي الجديد فأبقى الصالح وأخمد الفاسد الذي يتعارض مع تعاليمه السمحة كالهجاء الفاحش والغزل والتشبيب والتفاخر، والتملق والمدح الكاذب.

وفي الوقت نفسه أوجد لها بديلا يتمشى مع تعاليمه فدعى لأن يكون الشعر في حدود الأدب والحشمة، وأن يكون فيه الدعم للدين الجديد.

وحسان بن ثابت كان من الذين تأثروا بالإسلام تأثرا كبيرا، فوهب شاعر بيته للدفاع عنه ضد المشركين، وأبلى في ذلك بلاء حسنا، قربه من قلب النبي صلى الله عليه وسلم فقصائده وأصحابه كانت من القوة بمكان أجبرت المشركين من قريش وهم أرباب الفصاحة أن يذعنوا لهم ويعترفوا بتفوقهم عليهم[1].

فقصائد حسان في الإسلام لا تقل عنها في الجاهلية، بل وبها ازدادت شهرته مع الاعتراف بوجود فرق بين الفترتين، فقصائده في الجاهلية تتفق مع الفترة الإسلامية من ناحية الأسلوب، والاختلاف الوحيد هو استعماله للألفاظ الفاحشة والمدائح المبالغ فيها في قصائده الجاهلية، أما الإسلامية فتتسم بالأدب والأخلاق والصدق، وكلها مسايرة للإسلام.

[1] ممدوح يوسف حامد، الرواية وأثرها في النقد الأدبي، ص78.

ومع ذلك فقد كانت منزلته الشعرية في الإسلام ترفعه إلى درجة الفحولة على الرغم من كل الملابسات التي أحاطت به من التقيد بالأغراض التي يسمح بها الإسلام كالدعوة للتوحيد ونشر الدين الإسلامي بالحجة والبرهان من تحصيل الإقناع والرد على الأعداء فأصبح يتحرك في إطار محدود ومنهج مرسوم لا يتعداه، بعد أن كان في الجاهلية حر طليقا ما يحلو له من الألفاظ والعبارات المتحررة.

فحسان هو شاعر مخضرم عاش الفترتين معا أي الانتقال من جو إلى أخر، من جو الجاهلية المتحررة إلى جو الإسلام المحدد، وهذه الفترة التي يمكننا أن نسميها فترة التأمل والتمعن، هي التي ظن البعض أنها ضعف وسقوط، ولكنها في الواقع من ضمن الأشياء التي كان الشعراء يجهزون بها أنفسهم من أجل الانطلاقة الكبرى للدفاع عن الدين ونشره.

وهكذا كانت حالة أغلب الشعراء المسلمين، والذين تجلى أثر التهذيب في أشعارهم التي بالقرآن الكريم وألفاظه بعد أن هجرته الألفاظ الجاهلية.

فهذا عدي بن عمرو بن السويد ابن ريان الأعرج الطائي وهو من الشعراء المخضرمين يقول:

تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعي صلاة الصبح قاما

كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والمداما

وحرَّمت الخمور وقد أراني بها وإن كانت حراما

ومثله نرى لبيد بن أبي ربيعة وهو من المخضرمين، يروي أنه لم يقل في الإسلام شعرا إلا بيتا واحدا قال:

الحمد لله لم يأتني أجلي حتى كساني من الإسلام سربالا

وقال غيره وهو قوله:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

وكتب عمرو بن الخطاب إلى عامله المغيرة بن شعبة بالكوفة أن استشهد من عندك من شعراء مصرك ما قالوا في الإسلام، فأرسل إلى الأغلب العجلي أن أنشدني[1] فقال:

لقد طلبت هينا موجودا أرجزا تريد أم قصيدا؟

ثم أرسل إلى لبيد: أن أنشدني فقال: إن شئت ما عفي عنه (يعني الجاهلية)

قال لا ما قلت في الإسلام.

فانطلق إلى بيته فكتب سورة البقرة في صحيفته، فكتب المغيرة إلى عمر بن الخطاب فنقص من عطاء الأغلب خمسمائة، وازدادها في لبيد فكان عطائه ألفين وخمسمائة.

فالمتأمل لهذا الخبر يجد أن لبيدا لم يمتنع عن رواية الشعر الجاهلي، ولكنه امتنع عن قول الشعر في الإسلام، خوفا من العقاب والحساب.

قال لبيد:

ألا كل شيء خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وكل امرئ يوما سيعلم سعيه إذا كشفت عنه الله المجاهل

[1] ممدوح يوسف، مرجع سابق، ص85.

وهذا البيت الأخير يدل على أنه قيل في الإسلام (وشبيه بقول الله تبارك وتعالى "وحصل ما في الصدور" وكان لبيد قبل الإسلام يؤمن بالبعث والحساب.

ولعل البيت المنحول[1] فإن كان هذا البيت قبل الإسلام ففيه نفي للروايات التي تثبت امتناعه عن قول الشعر في الإسلام إلا في بيت واحد. وإن صح القول فيعتبر مأخذا عليه بالرغم من كل التخوفات التي ساورته وجعلته يمتنع عن القول، لأنه كان بإمكانه أن يقف مع الدين الإسلامي في محنته مع المشركين حيث كان الإسلام في أمس الحاجة إلى أصحاب المواهب الشعرية كجنود أوفياء يذودون عن حياضه، وهناك النابغة الجعدي يتأثر بألفاظ القرآن فتظهر في شعره حيث يقول:

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

المولج الليل في النهار وفي الل يل نهارا يفرج الظلما

فهذا الشاعر متأثر بقوله تعالى:" يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل" ومثل النابغة من الشعراء الذين ظهرت ألفاظ القرآن ومعانيه في أشعارهم. أمية بن أبي صلة الذي في شعره شيء من التوحيد والإيمان بالبعث والحساب وكل ذلك ناتج عن كونه حكيما.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشجع الشعراء الصالحين ويحثهم على القول، فكان يجالس النابغة وينشده الشعر، واتخذ من حسان شاعرا له وللدين الإسلامي" وانه بنى لحسان بن ثابت منبرا في المسجد ينشد الشعر"

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط1، 1967، ج1، ص280.

وكان يحب أن يسمع الشعر الجاهلي ويطلب من حسان فقال محمد بن مسلم الأنصاري كنا يوما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "لحسان أنشدني قصيدة من الشعر الجاهلي فإن الله قد وضع عن أثامها في شعرها وروايتها" فأنشده قصيدة للأعشى هجا بها علقمة بن علاثة بقوله:

علقم ما أنت إلى عامر   الناقص الأوتار والواتر.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة بعد في مجلسك هذا. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" إن من الشعر لحكمة".

وكان يعجب بالشعر ويثيب عليه ويقول: "إعطاء الشعراء من بر الوالدين". وقصته مع كعب بن زهير عندما خلع بردته بعد اعجابه بقصيدته التي ألقاها بين يديه في المسجد " بانت سعاد" أو البردة المشهورة.

وكان الرسول الكريم إذا أنشد الشعر لم ينطق به موزونا بل يتعمد التقديم والتأخير في الألفاظ ليكمل من في حضرته التصحيح حسب أصوله. ومع هذا فكان على علم ودراية بالشعر وروايته يستطيع نقده وتصحيحه فروى الزبير ابن بكار قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه برجل يقول في بعض أزقة مكة.

أيها الرجل المحّول رحله   هلا نزلت بآل عبد الدار؟

فقال النبي يا أبا بكر هكذا قال الشاعر؟ قال: لا يا رسول الله ولكنه قال:

يأيها الرجل المحول رحله   هلا سألت عن آل عبد مناف.

وكان يبدي رأيه في أمرئ القيس ويقول: إنه أشهر الشعراء وقائدهم إلى النار يعني شعراء الجاهلية والمشركين.

وكان يرسم الطريق السليم للشعراء لينهجوا طريق الحق والصواب ويبتعدوا عن الباطل ويعرف الشعر بقوله

" إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"[1].

فهذا يكشف عن موقفه من الشعر الذي يجب ان يقال: أما ما يروى بأنه كان يكره الشعر فهو قول باطل لأن بعقليته الواعية وحاسته العربية يعرف الأصالة التي قام عليها الشعر في نفوس العرب معرفة جيدة فكان يقول: " لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين"[2].

وكانت السيدة عائشة في بيت النبي عليه السلام من أروى الناس للشعر، وكانت ذات تجربة واعية ودراية في هذا المجال فكانت تقول:" الشعر منه حسن ومنه قبيح خذ الحسن ودع القبيح ولقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعارا منها القصيدة فيها أربعون بيتا ودون ذلك"

ويقال إنها كانت تروي جميع شعر لبيد وتعجب به وتنتقده وتفسر شعره وكانت عالمة بالشعر وروايته وما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا وفي عهد الخلفاء الراشدين على الرغم من ازدياد المسؤولية الملقاة على عواتقهم إلا أنهم كانوا لا يعقلون شأن الشعر بل ساروا في نفس الطريق الذي مهده لهم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من أبرزهم سيدنا عمر بن الخطاب الذي كان على دراية كاملة في الشعر وضروبه المختلفة وكان من أنقد أهل زمانه للشعر.

أما من ناحية موقفه من الشعراء فقد كانت توجه إليه بعض الانتقادات بأنه كان يحارب الشعر، والصحيح أن موقفه العدائي لم يكن يشمل الشعر كله، ولكن صنفا واحدا قابله بكل حزم ونهى عنه وعاقب عليه ألا وهو شعر الهجاء.

---

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص86.

[2] ابن رشيق القرواني، المصدر السابق، ص89.

خاصة ما يدور حول مناقضة الأنصار والمهاجرين على الخلافة في الإسلام وقال في ذلك " شتم الحي الميت، وتجديد الضغائن، وقد هد الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام.

وقد كان يستخدم كل الوسائل من أجل أن يستل سخائهم الهجاء والبغضاء من قلوب المسلمين على اختلاف أصولهم ومواطنهم لتبقى دولته رمزا للوحدة والتضامن الإسلامي الذي من مبادئه الوحدة والتسامح، والمحبة وهذه الصفات تتنافى مع شعر الهجاء، لهذا كان لابد من اهداره والقضاء عليه، إما بإغراء المال أو بالعقوبة والسجن، أو بمراضاة والمصالحة كما حصل كما حصل مع عبد الله بن الزبعري السهمي وضرار بن الخطاب الفهري ثم المحاربي عندما تنافروا مع حسان بن ثابت.

فهذا الشعر وهذه منزلته في صدر الإسلام، الذي خلف لنا ثروة هائلة منه على الرغم من الملابسات والمعوقات التي كانت تحد من نشاطه بعض الشيء لكن ذلك ليس كما بالغ البعض في أنها كانت فترة خمول وضعف وقد كان الشعر يعد سلاحا من ضمن الأسلحة التي توجه للأعداء فكان يظهر في مواقف شتى لحماس الجنود، ولرثاء الشهداء وللتفاخر بالانتصارات وعلى هذا فالحرب كانت لدى العرب افضل مؤثرات الشعر كما يقولون والشعر يوحيه الحب والحرب والموت.

فكان أثر الإسلام في الشعر إيجابيا وقليل صالح خير من كثير فاسد.

الفصل الأول: الشعراء المخضرمون وتأثرهم بالإسلام

المبحث الأول: الشعراء المخضرمون

المبحث الثاني: النقد في عصر صدر الإسلام

الشعراء المخضرمين ومدى تأثرهم بالإسلام:

من يقرأ في شعر المخضرمين متصفحا ما نشر في كتب التاريخ والأدب يجد جمهور الشعراء يصدرون في جوانب من أشعارهم عن قيم الإسلام الروحية التي آمنوا بها وخالطت شغاف قلوبهم ولشعراء المدينة القدح الأعلى في هذا الميدان، فهم الذين وقفوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم منذ نزوله بينهم ويدافعون عن دعوته مصورين لهديه الكريم، يتقدمهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، وكان الأخير دائم الاستمداد من القرآن الكريم يستلهمه في هجائه للمشركين وفي كل ما ينظم من أشعار على شاكلة قوله[1]:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرين

وكان بجانب هؤلاء الثلاثة شعراء آخرون لم يبلغوا مبلغهم في الشهرة الشعرية، وقد رويت لهم أشعار تنم عن مدى إيمانهم العميق كقول أبي قيس صرمة بن أبي أنس الأنصاري في قصيدة بديعة قائلا[2]:

ونعلم أن الله لا شيء غيره وأن كتاب الله أصبح هاديا

وقول أبي الدرداء:

يريد المرء أن يؤتى مناه ويأبى الله إلا ما أراد

ويقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل مااستفادى

وتحول شعراء قريش منذ فتحت مكة ودخلوا في دين الله يكفرون عما قدمت ألسنهم بأشعار، يعتدرون فيها للرسول صلى الله عليه وسلم.

[1] تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف، دار المعارف بمصر ط6 ص68

[2] المصدر نفسه ص69

كقول احدهم[1]

يا رسول الله المليك إن لساني رائق ما فتقت اد انا بور.

إذياوى الشيطان في سنتي الغد ى ومن مال ميلة متبور.

آمن اللحم والعظام لما قلت فنفى الفدا وأنت النذير.

وقد حسن إسلامهم، ومضوا يصدون عنه في أشعارهم، حتى إذا انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، أخذو يرثونه، ويتفجعون عليه، على شاكلة قول أبي سقيان بن الحارث:

لقد عظمت مصيبتنا وجلت عشية قيل: قد قبض الرسول

نبي كان يجلو الشك عنا بما يوحى إليه وما يقول

وإذا وقفنا عند مشهوريهم، ثم نعطف على من لم يبلغوا مبلغهم من الشهرة، ولعل أول من ينبغي الوقوف عنده عبدة بن الطيب الذي تحدثنا عنه في شعر الفتوح، فقد روي له صاحب المفضليات عينية بديعة، ونراه في شطر كبير منها يوصى أبناءه بتقوى الله وبر الوالد والحذر النمام الذي يزرع الضغائن بين الناس، مستلهما في ذلك كله الذكر الحكيم يقول:

أوصيكم بتقى الإله فإنه يعطي الرغائب من يشاء ويمنع

وببر والدكم وطاعة أمره إن الأبرَّ من البنين الأطوع

واعطوا الذي يزجي النمائم بينكم حربا كما بعث العروق الأخدع

[1] طبقات فحول الشعراء لا بن سلام الجمحي ص202

يزجي عقاربه ليعبث بينكم ضربا متضحا ذاك السهام المنقع

ويقول القائل في رثاء قيس بن عاصم[1]

عليك سلام الله قيس بن عاصم مرحمته ما شاء أن يترحما

فلم بك قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وواضح ما في البيت الأول من روح إسلامية، وارجع إلى سويد بن أبي كاهل الشكرى

فسترى المفضل الطي يروى لا قصيدة، يفخر بها فخرا جديدا، لا عهد لنابه من قبل، فخرا إسلاميا يذكر فيه رقه وما أنعم به عليهم من نعم يقول:

كتب الرحمن والحمد له سعة الأخلاق فينا والضلع

وإباء للدنيات إذا اعطى المكثور ضيما فكنع

وبناء للمعالي إنما يرفع الله ومن شاء وضع

نعم الله فينا ربها وضيع الله والله ضع

ومن هنا نراه يصفه وصفا يستلهم فيه الآية الكريمة" ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدا أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه"[2]

يقول: بئس ما يجمع أن يغتاب ***** مطعم وخمٌّ وداء يدرع

ويحييني إذا لا قيته ******* وإذا يخلو له لحمى رتع

[1] الشعر والشعراء لابن قتبة ج1 ص263

[2] الأغاني الأصفهاني أبو علي فرج بن الحسين، ص162

وممن يسلك في هؤلاء الشعراء الذين عرفوا برقة دينهم. ولعل في كل ما قدمناه ما يدل على فساد الفكرة التي شاعت بين الباحثين عربا ومستشرقين من أن الإسلام لم يترك أثارا عميقة في نفوس المخضرمين، وخاصة أهل البادية، فقد نفذت أشعة النيرة إلى قلوبهم جميعا ونحن نقف عند خمسة منهم يعدون في طليعتهم هم: حسان بن ثابت، وكعب بن زهير، ولبيد، الحطيئة والنابغة الجعدي، نرى فيهم مدى تأثر المخضرمين بالإسلام، ولندل في وضوح على أن هذا التأثر لم يقف عند شعراء المدينة مثل حسان بن ثابت فقد نقذ إلى شعراء البادية وتعمقهم مثل: عند لبيد والنابغة الجعدي.

اولا: لبيد

من عشيرة ذات سيادة وشرف في بني كلاب العامرين، هي عشيرة بني جعفر، وقد اشتهر فيها أبوه ربيعة وأعمامه الطفيل وأبو براء ومعاوية. أما ربيعة فكان بحرا فياضا، ومن ثم لقب" ربيع المقترين" وقد قتله بنو أسد في بعض حروبها مع قومه. وأما الطفيل فكان فارسا مغوارا وهو أبو عامر المشهور هو الآخر بفروسيته، وكذلك كان أبو براء شجاعا مقدما وكان يلقب بملاعب الآسنة، أما معاوية فكان ذا رأي وحكمة. فلقب بمعوذ الحكماء، وأم لبيد ثامرة بنت زنباع العبسية[1]

وقد نشأ لبيد يشعر شعورا عميقا بكرامة أسرته وأمجادها ومناقبها، وبمجرد أن شب أخذ يشترك في حروبها وغاراتها على أمراء الحيرة ويقص الرواة من ذلك حديث يتصل بأول بموهبته الشعرية وهو لا يزال حدثا، فهم يرون أن وفدا من قومه على رأسه عمه أبو براء وفد النعمان بن المنذر فوجد هناك وفدا من بني عبس على رأسه الربيع بن زياد، وكان بين العبسين وبني عامر قبيلة لبيد عداوة منشؤها أن العامرين قتلوا زهير بن

[1] المرزباني أبو عبد الله محمد بن عمران، الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، ط1 1965 ، ص 71

جذيمة سيد بني عبس في بعض حربهم، ولم يلبث الوفدان أن اصطدما، وأخذ الربيع يدنس على العامرين عند النعمان، وعرفوا ذلك.

ورجع لبيد بإعلانه إسلامه إلى قبيلته يذكرهم البعث والجنة والنار ويقرأ لهم القرآن، ومازال بينهم حتى خط عمر الكوفة فنزلها وأقام بها إلى أن توفاه الله في صدر خلافة معاوية سنة أربعين للهجرة.

ويقول الرواة إنه شغل نفسه حينئذ بالقرآن وتلاوته، ولم ينظم الشعر إلا قليلا، ويصورون فيقولون إن عمر أرسل إلى المغيرة بن شعبة واليه على الكوفة، أن استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الإسلام، فلما سأل لبيدا عن شعره انطلق فكتب سورة البقرة في صحيفته، ثم أتاه بها، وقال: أبدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر. فأحر أن يزيد عطاءه خمسمائة وكان ألفين ويمضي الرواة فيزعمون إنه لم يقل في الإسلام بيتا واحدا ويختلفون فيه[1] فمن قائل هو قوله:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي ****** حتى كساني من الإسلام سربالا.

ومن قائل بل قوله:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه ******** والمرء يصلحه الجليس الصالح

والحق أنه كثيرا من الأشعار تفيض بمعاني الإسلام، بحيث يمكن أن نقسم شعره إلى قسمين: قسما جاهليا وقسما إسلاميا.

[1] الاصفهاني الأغاني ج 15 ص52

وهو في القسم الجاهلي لا يخرج إلى مديح أو هجاء، بل يمضي مفاخرا فخرا عنيفا بآبائه وفتوته معتدا اعتدادا لا حد له بالأقربين من أسرته ومن ثم وقف مع ابن عمه عامر بن الطفيل ضد علقمة بن علاثة حين تفاخرا إلى هرم بن قطبة القزازي.[1]

والكثير من الأغراض والعديد من المواضيع المتداولة في الشعر الجاهلي كاقتحام الصحراء لناقته ووصفها باتان الوحشية، والفخر بقوته ومنادمته لرفاقه يقول:

إن إذا التقت المجامع لم يزل ****** منا لزار عظيمة جشامها

ومقسم يعطي العشرة حقها ********* ومغدر مر لحقوقها هضامها

أما القسم الثاني وهو الشعر الإسلامي، وجدنا قراءته للقرآن الكريم مهذب من لفظه وتدخل عليه خير قليل من الطلاوة، ومن ثم يقول فيه ابن سلام:"كان عذب المنطق رقيق حواشي الكلام، وكان مسلما ورجل صدق" ويتضح ذلك في مراثيه المشهورة لأخيه أربد فإن للألفاظ ماء ورونقا وفي معانيها من الإسلام أصداء وضلالا لقوله:

بلينا وما تبلى النجوم الطولع ****** وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

فلا جزع إن فرق الدهر بيننا ***** وكل فتى يصاحبه الدهر فاجع

وما الناس إلا كالديار وأهلها ***** بها يوم حلوها، وغدوا بلاقع

---

[1] ديوان لبيد ص 168

وليس كل ما حدث من انقلاب في شعره الإسلامي أنه انتقل من الألفاظ الحوشية إلى الديباجة الطلبية، فق تغلغل الإسلام في ضميره، فاتجه في أشعاره إلى ربه منيبا إليه، والوجل يملأ نفسه من يوم الحساب الذي ينتظره. يقول في قصيدته[1]:

إنما يحفظ التقى الأبرار****** وإلى الله يستقر القرار

وإلى الله ترجعون وعند ****** الله ورد الأمور والإصدار

كل شيء أحصى كتابا وعلما ***** ولديه تجلت الأسرار

إن يكن في الحياة خير فقد ******* أنظرت لوكان ينفع الإنظار

فإنك تجده يتحدث عن التقوى والأبرار والعمل الصالح وأن الناس معروضون على الله يوم القيامة وقد أحصى كل شيء في كتاب وأن الموت حق لا شك فيه وأن كل إنسان أن يفكر في مصيره.

ويمضي في طائفة غير قليلة من أشعاره يعظ من حوله بما أهلك الله من الأمم الحالية مخوفا من الموت ويوم الحساب، وداعيا إلى التقوى والعمل الصالح، ومهونا من الدنيا ومتاعها الزائل ونعيمها الفاني يقول في ذلك:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ****** وكل نعيم لا محالة زائل.

وكل أناس سوف تدخل بينهم ****** دويهية تصفر منها الأنامل.

وهو في البيت الأول يستمد من مثل قوله تعالى:"كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام"، ويستمد في البيت الثاني من قوله تعالى:"كل نفس ذائقة الموت"

[1] ديوان لبيد ص41

وكذلك قوله تعالى:" أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور" وعلى هذا النحو يظل لبيد بشعر الإسلامي متمسكا بالعروة الوثقى زاجرا عن الدنيا وخدعها داعيا إلى يكف الإنسان عن سيئاته ومرغبا له في الباقيات الصالحات حتى يتم بقية أجله بخير عمله.

ثانيا: الحطيئة

اسمه جرول، ولقب بالحطيئة لقصره أو لدمامته، وفد لأمة تسمى الضراء كانت لأوس بن مالك العبسي، ونشأ فيها وجعله ذلك قلقا مضطربا منذ أخذ يحس الحياة من حوله، وزاد في اضطرابه وقلقه ضعف جسمه وقبح وجهه، إذا كانت تقتحمه العيون، ولم يكن فيه فضل شجاعة يستطيع أن يتلافى به هوان نشأته في "عبس" على نحو ما صنع عنترة من قبله، ومن ثم نشأ يشعر بغير قليل من المرارة، ولعل هذا هو السبب في غلبة الهجاء عليه.

ولما تيقظت في نفسه موهبة الشعر لزم زهير بن أبي سلمى يعلمه إحكامه صنعه على نحو ما كان يعلم ابنه كعبا، ومربنا أن الحطيئة كان يروي شعر كعب أيضا وأنه طلب إليه أن ينو (إليه) به حتى يدور على الألسنة ذكره، ومعنى ذلك أن الحطيئة من مدرسة زهير التي كانت تعنى بالتعبير وصفاء تصفيته من كل شائبة لما كانت تعنى بالمعاني ودقتها.

ويضيء الإسلام في الجزيرة، فلا يسارع إليه، ومن هنا اختلف الرواة هل قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة فأعلن إسلامه على شاكلة كعب أو أنه تأخر في اعتناق الإسلام، حتى توفى الرسول الكريم ونراه يسارع إلى الردة، معينا بشعره المرتدين ضد أبي بكر وخلافته حتى يقول[1]

اطعنا رسول الله إذ كان بيننا ******** فيا لعباد الله ما لأبي بكر

[1] ديوان الحطيئة ص 37

أيورثها بكرا إذ مات بعده ******* قتلك وبيت الله قاصمة الظهر.

وجمهور شعره يدور في المدح والهجاء، ويقول الأصمعي[1]: كان الحطيئة جشعا مسؤولا دنيء النفس، كثير الشر، قليل الخير، بخيلا، قبيح المنظر، رث الهيئة، مغمور النسب، فاسد الدين، وما شاء أن تقول في شاعر من عيب وقلما تجد ذلك في شعره[2]، وقد يكون الأصمعي بالغ في نعته بهذه الصفات، وحقا كان يمدح سادة القبائل بشعره منذ ان نشا في الجاهلية من أمثال عينية بن حضن الفزاري وزيد الجبل:

ولا شك في أن الإسلام هو الذي خفف من حدة لسانه ونراه يصرح بذلك يقول:

وكما أن مدحت القوم فلم ********* هجوت ولا يحل لك الهجاء

ألم أك مسلما فيكون بيني وبينكم المودة والإخاء

ولم أشتم لكم حسبا ولكن حدوت بحيث يستمع الجداء

فهو يذكر حرمة الإسلام،بها، ويقول إنه حين مدح بني أنف الناقة وحدا فسمعه قوم الرزيقان جعلوا ذلك ذما لهم وهجاء، لمدحه خصومهم، ونراه يوجه أو يولي وجهه نحو علقمة بن علاثة، لينشد إحدى مدائحه فيه، ولكن الموت سبقه إليه فيجزل له ابنه في العطاء، ويتجه نحو العراق في عهد عثمان فيمدح الوليد بن عفية واليه إلى الكوفة.

أما بخله الذي أشار إليه الأصمعي والرواة فقد غسله بكثرة مديحه للكرم وهنا يرد على الذين اتهموه بالبخل ودناءة النفس بقوله:

الأصمعي أبو سعيد بن عبد المالك بن قريب، فحولة الشعراء، تحقيق محمد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني، مصر، المطبعة المنبرية 1953 ص 581

[2] المصدر السابق 98

فليجزيه الله خيرا من أحي ثقة وليهديه بهدى الخيرات هاديا

واشتمل المدح بالثناء على الله في مثل قوله [1] :

الحمد لله إني في جوار ******* حامي الحقيقة ففاع وضرار

وقال أبو عمرو بن العلاء: لم تقل العرب بيتا أصدق من بيت الحطيئة قائلا:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ******* لا يذهب العرف بين الله والناس.

ولعل ذلك ما يدل على أنه حسن إسلامه، وأبلغ في الدلالة على ذلك قوله في وصف التقى والعمل الصالح[2]

ولست أرى السعادة جمع مال ****** ولكن التقي هو السعيد

وتقوى الله خبر الزاد دخلاء ******* وعند الله للأتقى مزيد

فالسعادة في رأيه ليست في الدنيا وأموالها ومتاعها الزائل، وإنما هي في الأخرة ومتاعها الخالد الذي لا ينال إلا بالتقوى، فهي السعادة الحقيقية ومعنى ذلك أن الإسلام لم يظل بعيدا عن روح الحطيئة، بل أخذ يرسل فيها مثل هذه الإشاعات النيرة.

[1] لأصفهاني الأغاني ج3 ص375

[2] ديوانه ص 293

ثالثا: حسان بن ثابت

كان أبو ثابت بن المنذر حرام الخزرجي من سادة قومه وأشرفهم، وكانت أمه " العزيعة" خزرجية مثل أبيه، وقد أدركت الإسلام ودخلت في دين الله، وهو يسلك في المعمرين إذ يقال إنه عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين سنة[1]فقد قيل إنه توفي قبل وقيل بل سنة خمسين وقيل بل سنة أربع وخمسين، وهو ليس خزرجيا فحسب، بل هو أيضا من بني النجار أخوال الرسول صلى الله عليه وسلم، فله به صلة قرابة ورحم.

ونراه قبيل الإسلام يتردد على بلاط الغساسنة، ويقال إنه مدَّ رحلاته إلى بلاط النعمان بن المنذر، وكان لسان قومه في الحروب التي نشبت بينهم وبين الأوس في الجاهلية، ومن ثم اصطدم بالشاعريين الأوسيين: قيس بن الحطيم وأبي قيس بن الأسلف، ويقال إن عرض شعره على النابغة في سوق عكاظ وقدم عليها الاعشى فاثاره موجدته[2]

ويهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فيدخل حسان إلى الإسلام، حتى إذا أخذ شعراء قريش في هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه من المسلمين انبرى لهم بلاذع هجائه، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحثه على ذلك ويدعو له بمثل: اللهم أيده بروح القدس واستمع إلى بعض هجائه لهم فقال:" لهذا أنشد عليهم من وقع النبل" وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أمرت عبد الله أبي رواحة (هجاء قريش) فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشفى و أشفى وأنه لم يكن يهجو قريشا بالكفر وعبادة الأوثان، وإنما كان يهجوهم بالأيام التي هزموا فيها ويعيرهم بالمثالب والأنساب وهذا طبيعي لأنهم كانوا مشركين فعلا، فلو هجاهم بالكفر والشرك ما

[1] تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف دار المعارف بمصر ط6 ص 88

الاصفهاني أبو علي الفرج بن الحسين مؤسسة الجمال والطباعة مصورة عن دار الكتب لبنان ص 384.

بلغ منهم مبلغا، ويروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له" اذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم ، ثم اهجيهم وجبريل معك[1]"

ويذهب بعض الرواة إلى أنه ممن خاض في حديث الإفك الكاذب على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ونراه يعلن براءته من هذا القول الآثم بأشعار يمدحها بها مدحا رائعا من مثل قوله:

حسان رزان ما تزن بريبة ****** وتصبح غرثي من لحوم الغوافل

فإن كان ما قد قيل عنى قلته *****فلا رفعت سواط إلى أناملي

ويظهر أن بعض المهاجرين وعلى رأسهم صفوان بن المعطل آثاروا في هذا الحادث حتى وجد وجدا شديدا، فقال:

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا ***** وابن الفريعة أمسى ببيضة البلد

على انه مضى نفس القصيدة يعلن إخلاصه للإسلام وإنه يستمر مدحه عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويقال إنه كان ينشد للرسول شعره في المسجد، والذي لا شك فيه أنه كان يحظى منه بمنزلة رفيعة، حتى ليروي أنه كان يرفع أزواجه إلى اطمه فيه يخرج لحرب أعدائه، وكان حين يعود يقسم له في الغنائم، وقد أهداه بستانا، كما أماه سيرين أخت زوجته مارية القبطية، وهي أم ابنه عبد الرحمان، وكان الخلفاء الراشدون يجدونه ويفرضون له في العطاء،

[1] المصدر نفسه ج4 ص 138

وبحق سمي حسان شاعر الإسلام ورسول الله الكريم، فقد عاش يناضل عنه أعدائه من قريش واليهود ومشركي العرب راميا لهم جميعا بسهام مصمية وقصته مع الحارث بن عوف المرئ حين قتل في جواره داع من دعاة الرسول مشهورة فقد قال فيه وفي عشيرته[1].

إن تغدروا فالغدر منكم شيمة ****** والغدر يثبت في أصول السخبر.

وبكى الحارث من هجائه له بدموع غزار واستجار بالرسول صلى الله عليه وسلم متوسلا إليه أن يكفه عنه، وقد مضى حيث قدم على الرسول وفد بن التميم يرد على شاعر هذا الوفد الزبرقان بن بدر ما دحا للمهاجرين مدحا رائعا، يقول في تضاعيفه:

إن الذوائب من فهر وإخوانهم ****** قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته ****** فتقوى الإله وبأمر الذي شرعوا

إن كان في الناس سباقون بعدهم ******* فكل سبق لأدنى سبقهم تتبع

أهدى لهم مدحي قلب يوازره ******* فيما أراد لسان حائك ضع

ومن المحقق أنه كان شاعرا بارعا، وقد اتفق الرواة وانتقاء على أنه أشعر أهل المدينة في عصره.

وأنه أشعر اليمن قاطبة، وقد خلف ديوانا ضخما رواه ابن حبيب، غيره أن كثير من الشعر المصنوع داخله يقول الأصمعي:" تنسب إليه أشياء لا نصح عنه" ويقول ابن سلام" قد حمل عليه ما لم يحمل على أحد، ولما تعاهضت قريش واستبث وضعوا عليه أشعارا كثيرة لا تبقى"[2]

[1] ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء ص171

[2] ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء ص173

وكان ممن حمل عليه عناء كثيرا ابن اسحق في المغازي، ولاحظ ذلك ابن هشام وهو يروي عنه السيرة النبوية، فكان يرجع إلى العلماء بالشعر وعلى رأسهم أبو زيد الأنصاري رواية البصرة المشهورة، يسألهم عن صحة أشعار حسان بن ثابت المروية عند ابن اسحق، فكانوا يثبتون بعضها وينكرون بعضا أخر وقد يردونها إلى غيره من معاصريه ومن جاءوا بعدهم، ومع ذلك نرى كثيرا مما أنكروه مثبتا في رواية ابن حبيب، ونحن نعرض ابن هشام ليعلم مدى ما وضع على حسان فمن ذلك أن نراه كثيرا يقول بعد إنشاده لبعض القصائد:" وأهل العلم ينكرون هذه القصيدة لحسان، ومن ذلك أنه نسب قصيدتان أضفيتا إلى كعب بن مالك، ونسب ثلاثة إلى عبد الله بن الحارث السمعي وأربعة إلى معقل بن خويلد الهذلي خامسة إلى ربيعة بن أمية الديلي وقيل بل هي لأبي أسامة الحشمي[1]، ونسب السادسة إلى ابنه عبد الرحمان، وإذا مضينا نبحث في مراجع أخرى وجدنا قطعة لعبد الله بن رواحة تضاف إليه، وهي في رثاء نافع بن بديل وأخرى في رثاء عثمان وكذلك أضيفت إليه مقطوعة يائية في هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ونصرة الأوس والخزرج له.

والحق أن شعر حسان الإسلامي كثر الوضع فيه، وهذا هو السبب فيما يشيع في بعض الأشعار المنسوبة إليه من ركاكة وهلهلة لا لأن شعره لان وضعف في الإسلام كما زعم الأصمعي، ولكن لأنه دخله كثير من الوضع والانتحال، ونحن نوثق شعره في الجاهلية إلا ما اتهمه الرواة، ومن رائع هذا الشعر ميمته التي يملئها ضجيجا عجيبا بمفاخر قومه والتي يقول فيها:

لنا الحفنات الفرّ يلمعن بالضحى ********* وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولاميته التي يمدح فيها الغساسنة بمثل قوله:

---

[1] ديوان حسان بن ثابت ص 23

بيض الوجوه كريمة أحسابهم******* شم الأنوف من الطراز الأول

أما هجاؤه لقريش فينبغي أن نبعد منه ما تهمه الرواة ألا تقبل منه إلا ما يغلب عليه الاقذاع بالأيام والأنساب، ومن ثم كنا نرتضي مهيته (ثلث فؤادك في المنام خريدة) التي يعير فيها الحارث بن هشام المخزومي بفراره يوم بدر ومثلها قصيدته الميمية (منع النوم بالعشاء الهموم التي يهجو فيها ابن الزبعري ويفتخر بقومه فخرا عنيفا)، ومن نمطها لاميته (أهاجك بالبيداء رسم المنازل) وبهذا القياس نضيف إليه مقطوعته الكافية التي وجهها إلى أبي سفيان بن الحارث، وقد رواها ابن سلام[1] ومثلها مقطوعته الدالية التي يستلهمها بقوله:

وإن سنام المجد من آل هاشم ***** بنو بيت مخزوم ووالدك العبد

ومقطوعته السينية التي يقول فيها:

لعمرك إن الك من قريش ******كال السقب من رأل النعام

وأيضا نحن نثبت له قصيدته الهمزية التي يقول فيها لأبي سفيان بن الحارث

هجوت محمدا فأجبت عنه ****** وعند الله في ذاك الجزاء

وهو يسهلها بذكر منازل صاحبته متسببا بها ومستطردا إلى ذكر الحمر على طريقة الجاهلية.

مما جعل القدماء يقولون إن القصيدة تتكون من جزئين:

[1] ابن السلام الجمحي طبقات فحول الشعراء ص174

جزء نظم في الجاهلية، وجزء في الإسلام وهو يمضي في الجزء الثاني متحدثا عن فروسية قومه ومتوعدا قريش بحروب منيرة وتختلط في هذا الجزء المعاني الجاهلية بالمعاني الإسلامية إذ يعرض لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم وتابعة قومه له ونصرتهم لدينه من مثل قوله:

وجبريل أمين الله فينا ****** وروح القدس ليس له كفاء

وقد نبرر المعاني الإسلامية في بعض أهاجيه لقريش كقوله من مقطوعة يعيرها فيها بهزيمتها يوم بدر.

فينا الرسول وفينا الحق نتبعه******* حتى للممات ونصر غير محدود

مستعصمين بحبل غير منجذم ******** مستحكم من حبال الله مدود

وهو يشير في البيت الثاني إلى قوله تعالى:" واعتصموا بحبل الله جميعا" وله مراث في الرسول الكريم تتضح فيها المعاني الإسلامية اتضاحا على نحو ما يلقانا في مرتبة التي رواها أبو زيد الأنصاري والتي يقول فيها[1].

وما فقد الماضون مثل محمد ***** ولا مثله حتى القيامة يفقد

وعلى هذا النحو اتسمت بعض أشعار حسان الإسلامية بأضواء الدين الحنيف وهديه الكريم.

رابعا: كعب بن زهير:

أبوه زهير بن أبي سلمى من فحول الشعر الجاهلي، ولكنهما يوضعان في عداد غطفان حيث عاش زهير مع بنيه بين أخواله بني مرّة الذبيانيين، وقد تلقى كعب الشعر عن أبيه مثله في ذلك مثل أخيه بجير ومثل الحطيئة. ويذكر لنا الرواة الطريقة التي كان يخرج بها زهير تلاميذه من أهل بيته، وغيرهم إذ يقولون إنه كان يحفظهم شعره وشعر غيره م الجاهليين حتى تتضح موهبة الشعر فيهم.

[1] ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء ص 175

ويقولون عن كعب إنه كان يخرج إلى الصحراء فيلقى عليه بيتا أو شطرا ويطلب إليه أن يجيزه[1] تمرينا له وتدريبا على صوغ الشعر ونظمه. ويبدو أن كعب اشتهر بالجاهلية بأكثر مما أشتهر الحطيئة.

يدل ذلك ما يرويه ابن سلام من أن الحطيئة قال له: قد علمت روايتي لكم أهل البيت، وانقطاعي إليكم. وقد ذهبت الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعرا تذكر فيه نفسك وتضع موضعا بدالك فإن الناس لأشعاركم أروى وإليها أسرع[2] فقال كعب قطعته التي يقول فيها:

فمن لد قوافي شانها من يحوكها ******** إذا نوى كعب وفوز جرول

ومعروف أن كعبا وبجيرا أخاه والحطيئة أدركوا الإسلام، وكان أسبقهم إلى الدخول فيه بجير وقد هجاه كعب حينئذ هجاء آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل قوله:

ألا أبلغا عني بجيرا رسالة***** فهل لك فيما قلت-ويحك-هل لكا

شربت مع المأمون كأسا زوية ******فانهلك المأمون منها وعلكا

وخالفت أسباب الهدى وتبعته******على أي شيء ويغايرك دكا

على خلق لم تلف أما ولا أبا ***** عليه ولم تدرك عليه أحالكا[3]

ويقال أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع بهذا الشعر فتوعده، وأجابه بجير فيما أجابه به لقوله[4]:

من مبلغ كعبا فهل لك في التي*****تلوم عليها باطلا وهي أحزم

[1] الاصفهاني الأغاني ص 141
[2] ابن السلام الجمحي طبقات فحول الشعراء ص 87
[3] ديوان كعب بن زهير ص145
[4] المصدر السابق ص88

إلى الله لا العزى ولا اللات وحده***** فتنجوا إذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت******* من النار إلا طاهر القلب مسلم

ومازال كعب على وثنيته حتى فتحت مكة وانصرف الرسول صلى الله عليه وسلم من الطائف فكتب إليه بجير أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل كل من أذاه من شعراء المشركين إلا من أعلنوا إسلامهم، فقدم المدينة وبدأ بأبي بكر، فوقع من نفسه" فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح جاء به وهو ملثم بعمامته، فقال: يا رسول الله هذا رجل جاء يبايعك على الإسلام، فبسط النبي صلى الله عليه وسلم يده، فحسر كعب عن وجهه وقال: هذا مقام عائذ بك يا رسول الله أنا كعب بن زهير فتهجمه الأنصار لذكره قبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، واحبت المهاجرة أن يسلم ويؤمنه النبي صلى الله عليه وسلم[1] وأنشده مدحته الخالدة

بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول******* متيم إثرها لم يفد مكبول[2].

فكساه النبي صلى الله عليه وسلم بُردة اشتراها معاوية من أبنائه بعشرين ألف درهم، وكان يلبسها الخلفاء بعد معاوية في العيدين[3] وقد اكتسى بها كعب حلة مجد لا تبلى ولقبت قصيدته من أجلها بالبردة، ونراه يستهلها بالغزل، إذ يذكر سعاد وفراقها وأن قلبه مرتهن عندها فليس له فكاك، وكأنه يتأثر أباه في بعض غزله إذ يقول في إحدى قصائده[4].

وفارقتك برهن لا فكاك له ****** يوم الوداع فأمس الرهن غلقا

---

1 ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء ص 90

2 المصدر نفسه 60

3 ابن قتيبة الشعر والشعراء ص106

4 ديوان زهير ص 83

ويلح في وصف سعاد ويشبهها بالظبي ويشبه ريقها بالبحر، متأثرا في ذلك أباه في نفس القصيدة، كما تأثره في الحديث عن إخلاف صاحبته لوعدها.

ويخرج من ذلك إلى وصف ناقته مستهلها ما نظمه أبوه في هذا الموضوع من قبل ومضى يمدح المهاجرين حتى قال[1] :

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ****** ضرب إذا عرد السود التنابيل

وكان كذلك يردد كثيرا أن الله يرزق عباده، وأنه لا يتركهم بدون رزق فهو راعيهم الذي يفضل عليهم، وهو الغني الحميد، يقول:

أعلم أني متى ما يأتي قدري ****** فليس يحبسه شح ولا شفق

والمرء والمال ينمي ثم يذهبه ***** مر الدهور ويفنيه فينسحق

فلا تخافي علينا الفقر وانتظري***** فضل الله الذي بالغنى من عنده نثق

إن يفن ما عندنا فالله يرزقنا ****** ومن سوانا ولسنا نحن نرتزق

وهو بذلك يقرب من زهاد المسلمين الذين كانوا يكرهون أن يفكر الشخص منهم في رزق غد، بل كان منهم من يرى أن ذلك خطيئة لا تغتفر.

وله قصيدة لامية يظهر أن نظمها في الجاهلية لما يذكر فيها من شربه الخمر مع من يصطفيه ويظهر أنه عاد فأدخل فيها بعد إسلامه هذه الأبيات[2]:

---

[1] ديوان كعب بن زهير 107

[2] ابن قتيبة الشعر والشعراء ص 54

فأقسمت بالرحمن لا شيء غيره ****** يمين امرئ برّ ولا أتحلل

لأستغرق أعلى دريس مسلما ****** لوجه الذي يحي الأنام ويقتل

هو الحافظ الرسنان باليل ميتا ***** على أنه حي من النوم مثقل

من الأسود الساري وإن كان ثائرا ******* على حد نابيه السمام المشمل

وهي تلم عن ولائه لدينه الحنيف وهو الإسلام وأنه أسلم وجهه لربه جل جلاله الحافظ الذي يكلأ عباده ويبعدهم عن الأذى.

ولعل في ذلك ما يدل دلالة واضحة على مدى تأثير الإسلام في نفسه وفي شعره وديوانه يدل على ذلك.

خامسا: النابغة الجعدي

هو عبد الله بن قيس بن جعدة العامرين، ولد بالفلح جنوبي نجد ولما شب اضطرب فيها يضطرب فيه قومه من حروب، ويقال إنه ظل ثلاثين عاما في الجاهلية لا ينطق الشعر، ثم تفجر على لسانه فسمي النابغة لنبوغه فيه باحرة ويقال إن نبوغه فيه إنما كان في الإسلام.

والنابغة في جاهليته مثل لبيد يتغنى بمفاخر قومه وانتصاراتهم في حروبهم ويهجو خصومهم بني أسد الذين قتلوا أخا له في بعض حروبهم مع قبيلته، وقد بكاه كثيرا

وفي السنة التسع للهجرة أعلن اسلامه وأنشد قصيدة لنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيها:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ******** وإنما لنبقى فوق ذلك مظهر.

فقال له الرسول الكريم: فأين المظهر يا أبا ليلى فأجابه: الجنة، وأعجب الرسول بشعره ومنطقه فقال له: لا يفضض الله الفاك[1]

جاء في قوله منصورا في حياته الإسلام وابتغاءه رضوان الله بجهاده وتقواه جميعا:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ****** ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

وجاهدت حتى ما أحس ومن معي سهيلا إذا مالح ثمت غورا

أقيم على التقوى وأرضى بفعلها وكنت من النار المخوفة أوجرا

ومن المحقق أن النابغة كان أحد الشعراء الذين استضاء بالإسلام وتعاليمه الروحية، وقد خرج يجاهد في سبيل الله وهو يتلو القرآن أثناء الليل وأطراف النهار.

فكان طبيعيا أن يستلهمه في شعره. وهو من هذه الناحية من خير الأمثلة على أثر الإسلام في شعر المخضرمين ومدى هذا التأثر إذ عبر في غير قصيدة على خشية الله وتقواه من مثل قوله:[2]

منع الله الغدر لم أهمم به ******* وأخو الغدر إذ هم فعل

خشية الله وأني رجل ******** إنما ذكرى كنار بقبل

وهو دائم الحديث عن نعمة الله عليه بالإسلام، وتحوله من ظلمات الوثنية إلى أضواء الدين الحنيف يقول[3]

:

عمرت حتى جاء أحمد بالهدى ****** وقوارع تتلى من القرآن.

[1] الأصفهاني الاغاني ص 8

[2] ديوان النابغة ص 81.

[3] المصدر السابق ج3 ص504

ولبست مل الإسلام توبا واسعا ******* من سبب لا حرام ولا منان

ويقول أيضا:

الحمد لله لا شريك له ****** من لم يقلها فنفسه ظلما

المولج الليلي في النهار وفي الليل****** نهارا يخرج الظلاما

الخافض الرافع السماء على ******** الأرض ولم يني تحتها دعما

الخالق البارئ المصور في ********* الأرحام ماء حتى يصير دما

من نطفة قد ها مقدرها ********** يخلق منها الأبشار والنسما

ثم عظاما أقامها عصب ******* ثمت لحما كساها فالتأما

ثم كسا الرأس والعواتق ****** أبشارا وجلدا تخاله أدما

والنابغة في مطلع هذه يثني على الله بما هو أهله، مقرر إيمانه بوحدانيته، وأنه لا شريك له، أنه يستعير لفظة من الذكر الحكيم، فهو يستهل قوله بكلمة" الحمد لله" ولا يلبث أن يستلهم مثل قوله تعالى:" إن الله يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون، ويتحدث في البيت الثاني عن النظام في الكون المنبئ عن قدرة الله وجليل صنعه له تقديره على نظام بديع، مستعيرا من القرآن نفس لفظة في قوله عز وجل" قل اللهم مالك الملك، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل"

وفي البيت الثالث مضى ينظم قوله تعالى:" الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها" وخرج في البيت الرابع من خلقه للكون إلى خلقه للإنسان واستمر ينظم مثل قوله جل وعلا:" وقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام

لحما ثم أنشأناه خلقا أخر فتبارك الله أحسن الخالقين". وهو يمض يتحدث عن البعث والنشأة الثانية محذرا ومخوفا.

النقد في صدر الإسلام:

أولا:

النقد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

لم يتوقف الشعر في عصر النبوة ولم يضعف، وإنما تغير مساره، فكان يسير في زمن الجاهلية في إطار القبيلة وخدمة مصالحها، وأما في فجر الإسلام فقد صار في خدمة الدعوة الإسلامية، وتبعا لذلك، فقد اتجه النقد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم اتجاها إسلاميا يكون مقياس الحكم فيه على العمل الأدبي بمقدار مطابقته للحق أو عدم مطابقته للحق.[1]

فقد هاجم القرآن الكريم الشعر الصادر عن شعراء المشركين أو من دار في فلكهم في قوله تعالى:" والشعراء يتبعهم الغاون(224) ألم ترى أنهم في كل واد يهيمون(225) وأنهم يقولون ما لا يفعلون(226) إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا"[2]

هو الشعر الذي قال فيه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم" إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن، ومن لم يوافق الحق منه فلا خير فيه" فالقرآن الكريم يضع ميزانا للشعر من خلال تصنيف الشعراء إلى قسمين: أولهما الشعراء المشركون الذين وقفوا موقفا معاديا للدين الجديد. وما من شك في أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ميزانه للشعر من تعاليم الإسلام، فكان يعجب بالشعر المنطوي على مثل عليا ويقول حين يستمع إليه" إن من البيان لسحر وإن من الشعر لحكمة"، ولما قدم عليه وفد من عرب بني تميم–بعد فتح مكة ومعهم من شعرائهم الزبرتان بن بدر والأقرع ابن حاسب، من خطبائهم عطارد بن

[1] ابن رشيق القيرواني العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، تحقيق محي الدين عبد الحميد بيروت، دار الجليل ط5 1981 ص14

[2] الآيات 224،227 الشعراء

حاجب، ثم راحوا ينادونه من وراء الحجرات يا محمد أخرج إلينا نفاخرك وشاعرك، فإن مدحنا زين ودمنا فرماهم الرسول صلى الله عليه وسلم بخطيبه ثابت بن قيس وشاعره حسان بن ثابت، فساجل ثابت عطاردا ورد عليه، ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر فقال[1]:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ******** منا الملوك وفينا يقسم الربع

وكم قصدنا[1] من الأحياء كلهم ******* عند الذهاب وفضل العز يتبع

ونحن نطعم عند القحط مطعمنا ***** من الشواء إذا لم يؤنس القرع

فلما فرغ الزبرقان بن بدر، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم حسانا بالرد فقام حسان فقال:

إن الذوائب من فهروا اخوتهم ******* قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته****** تقوى الإله وكل خير يصطنع

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ******* أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

فلما فرغ حسان من قصيدته، قال الأقرع بن حاسب أحد رجال الوفد والله إن هذا الرجل–يعني محمدا– أي لموفق لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا، ولم يلبثوا أن استجابوا لله والرسول صلى الله عليه وسلم فأسلموا

وهذا النقد الذي صدر من الناطق باسم وفد تميم، وفضل فيه مستوى خطيب الرسول صلى الله عليه وسلم وشاعره، يقوم على حكم عام يتكئ على المضمون العام دون التفاصيل.

[1] ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص29.

وكذلك نلاحظ توجه الشعر نحو خدمة الدعوة الإسلامية، إذ لم يعد يجهر بالسوء، أو يخوض فيما حرم الله، مستمدا معانيه من روح الإسلام ومبادئه السمحة وشيء آخر هو أن القرآن الكريم قد تحدى به العرب، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلوه فيروع سامعيه، سوآءا كانوا من أنصاره، أم من أعدائه، فهذا لبيد بن ربيعة ينصرف عن الشعر إلى القرآن، فقد روى صاحبه الأغاني لم يؤثر عنه في الإسلام إلا بيت واحد وهو:

الحمد لله إذ لم يأتي أجلي ****** حتى لبست الإسلام سربالا[1]

وروي أن الوليد بن المغيرة هو أشد خصوم النبي صلى الله عليه وسلم سمعه يتلو بعض آيات الذكر الحكيم، فتوجه إلى نفر من قريش يقول لهم:" والله لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإنه له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه"[2]

فهذا توجه نقدي يصدر من طرف معاد هو الوليد بن المغيرة، حيث تأثر بالقرآن الكريم، ومن ثم فهو نقد يقوم على الإحسان اللغوي الدقيق وينبع من صميم الحياة العربية، يدقق في الأشياء ولا يفلسفها.

وسار حسان بن ثابت على هذا المنهج الإسلامي بوصفه شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم إذ سمعه يقول:

وإنما الشعر لبٌّ المرء يعرضه ******* على المجالس إن كيسا وإن حمقا

وإن أشعر بيت أنت قائله ******** بيت يقال–إذا أنشدته–صدقا[3]

[1] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، لبنان مؤسسة الجمال للطباعة والنشر مصورة عن طبعة دار الكتب ص 376.

[2] المصدر السابق ص 218.

[3] الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، القاهرة، دار الصابوني للنشر ط 9 د ت 3أجزاء ص473

ومن ثم أخذ ينبري لشعراء قريش الذين آذوا الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته بأهاجيهم فكان يهجوهم هجاء لاذعا، وكان لذلك أثر بين في النقد الأدبي، فقد نصب له الرسول صلى الله عليه وسلم منبرا في المسجد يستمع إلى بعض هجائه لهم، فقال:" لهذا أشد عليهم من وقع النبل" ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: أمرت عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك، فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت، فشفى واستشفى فكان يعيرهم بالمثالب والأنساب[1]

وكان النظر بن الحارث من شياطين قريش ومن أشد أعداء الرسول الذين جاهروا بعداوته، وإيذائه، فكان إذا تلا النبي القرآن يقول لقريش ما يأتيكم محمد إلا بأساطير الأولين. وقد حارب المسلمين في غزوة بدر الكبرى حتى أسر فأمر الرسول عليا بضرب عنقه[2]

ويروى أن قتيلة بنت النظر بن الحارث بعد مقتل أبيها عرضت للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف، فمستوقفة حتى انكشف عن منكبه ثم أنشدته قصيدة منها:

أمحمد ولدتك خير نجيبة ******** في قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما ****** من الفتى وهو المقيظ المحنق

فالنضر أقرب من قتلت قرابة ****** وأحقهم إن كان عتيق يعتق

ويروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما سمع شعرها رق لها حتى دمعت عيناه وقال: "لو سمعت شعرها هذا قبل قتله لمننت عليه"[3]

3 ديوان حسان بن ثابت ص 103.

[2]انظر، الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني ج 4 ص 137.

[3] ابن الاثير ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج4 تحقيق احمد الحوفي ب ط مصر 3م ن1 ص 98

وفي هذا الكلام تأثر انطباعي، فالرسول صلى الله عليه وسلم يدرك أن ما جاء في شعر قتيلة موافق لميزان الشعر الحق، مع دقة لفظه" لمننت عليه" ذاك يعبر عن العفو، في حبن يعير الأمر بضرب عنقه أنه يستحق القتل.

كذلك أبدى الرسول صلى الله عليه وسلم رأيه في بعض شعراء الجاهلية، فقد روي عنه في إمرؤ القيس قوله" ذاك رجل مذكور في الدنيا، شريف فيها، منسي في الآخرة حامل فيها يحي يوم القيامة مع لواء الشعراء إلى النار"[1]

فهذا حكم يتلاءم مع المقياس الجديد، فامرئ القيس من أهل النار لما تضمنه شعره من معان تحافي الحق.

وقد قيل إنه صلى الله عليه وسلم أنشد بيت طرفة بن العبد

ستبدي لك الأيام ماكنت جاهلا ******* ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال: هذا من كلام النبوة: فالرسول صلى الله عليه وسلم يبدي إعجابه ببيت طرفة لما تضمنه من صدق يتناغم مع الحق الذي اعتمده مقياسا للشعر.

وخلاصة القول إن النقد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ظل نقدا نظريا بعيدا عن التعليل، لا تشفع فيه الأحكام النقدية بأسباب أو حيثيات، إلا أنه في المقابل تطور في موازينه، فقد ذم الشعر الذي يعادي روح الإسلام، ومدح الشعر الذي يغلب عليه روح التدين ويقف إلى جانب الحق.

وتأثر النقد الأدبي بمستجدات هذا العصر وأهمها:

ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، الشعر والشعراء، لبنان، دار الثقافة ط4 1980 ج 8 ص126.127[1]

1–الصراع العقدي والسياسي بين النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من جهة وخصوم الإسلام من مشركين ويهود من جهة أخرى، وقد اتضحت معلم هذا الصراع بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، إذ تنا ولته قريش بالهجاء[1]

2–القيم الجديدة التي حاء بها الإسلام، التي ساعدت على قيام نقد يرتكز على العقيدة والأخلاق الإسلامية.

وإذا تمثلت الحياة الأدبية في شعر الهجاء والمناظرات والمدح، فقد ساير النقد هذه الحياة الجديدة ذات الطابع الإسلامي، فضلا عن الحياة القيمة ذات الطابع القبلي، بمآثرها الجاهلية، وكان تأثير القرآن الكريم ما ثلا في هذا النقد سواء في المسلمين أو في خصومهم.

ثانيا:

النقد في عهد الخلفاء الراشدين:

ظل الشعر في عهد الراشدين على حالته التي كان عليها في عهد النبوة، فلم ينهض الخلفاء الراشدون بحركة الشعر، وإنما كانوا ينهجون منهج الرسول (ص) في حّث المملين على حفظ القرآن الكريم وتلاوته، ولكنهم في المقابل دعوا الى تلقين الأبناء الشعر الذي لا يحاكي روح الإسلام، تقويما لألسنتهم وتهذيبا لنفوسهم فقد كتب عمر الى ابي موسى الاشعري "مرض قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معاني الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب".

[1] ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، حققه وشرحه محمود ومحمد شاكر مطبعة المدني ط2، 1974 ص217

وكذلك أدرك المفسرون حاجتهم الى الشعر، قال ابن عباس" اذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب[1]. وكان اذا سئل عن شيئ من القرآن انشد فيه شعرا.

الا ان دواعي الشعر اخدت تقل في هذا العهد، فقد حذر الخلفاء من الهجاء لمنافاته لروح الإسلام وتعاليمه، فكان عمر اشدهم وطأن مع الهجاء والهجائيين.

وكذلك انصرف العرب الى الجهاد وتشاغلوا به عن الشعر، قال عمر رضي الله عنه "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم اصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهيت عن الشعر روايته....

فإذا انتقلنا الى حركة النقد الادبي في هذا العصر وجدناها تلتمس في مواقف الخلفاء الراشدين من الشعر والشعراء، وفي الملاحظات النقدية التي كانت تصدر عن بعض الصحابة والشعراء.

فقد الخلفاء الراشدون على سار نهج الرسول (ص) وموقفه من الشعر، متأثرين بقيم الإسلام الجديدة ومثله العليا، وتلقنا في بعض المصادر وخاصة في "الأغاني" وفي "الشعر والشعراء" وفي طبقات فحول الشعراء "وفي الموشح" وفي "العمدة" ملحوظات نقدية للخلفاء الراشدين بعامة وعمر بن الخطاب بخاصة.

ذكر ابن رشيق في العمدة ان ابى بكر رضي الله عنه كان يقدم النابغة ويقول: هو احسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وابعدهم قعرا"[2].

---

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة، ص15.

[2] ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعر ص10.

فهذا حكم يقوم على المفاضلة بين النابغة وغيرهم من الشعراء، فيحكم بأنه أحسنهم شعرا من حيث المعاني، وجاء به معللا، اذا جعله يستقي معانيه من معين عذب سائغ، كما أنه يغوص في هذه المعاني غوصا حتي يستخرجها.

وذكر المرزباني في الموشح أن لبيدا الشاعر قام على ابي بكر رحمه الله فقال: "الا كل شيء ما خلا الله باطل، فقال صدقت، قال: وكر نعيم لا محالة زائل فقال: كذبت عند الله نعيم لا يزول"[1]

فالصدق الذي أعجب له أبو بكر في الشطر الأول لبيت لبيد يشير الى ان مقياس ابي بكر في الحكم على الشعر هو مقياس الصدق في القول، واما الكذب في الشطر الثاني فيتجافى مع الحق.

وأما عثمان بن عفان رضي الله عنه فكان يعجب بشعر زهير لما يتجلى فيه من الصدق فقد روى صاحب الأغاني عن ابي زيد الكلابي، انشد عثمان بن عفان قول زهير:

ومهما تكن عند امرئ من خليفة ** وإن خالها تخفى على الناس تعلم.

فقال: أحسن زهير وصدق لو أن رجلا دخل بيتا في جوف بيت لتحدث به الناس وقال النبي (ص) لا تعمل عملا تكره ان يتحدث عنك به"

فعثمان بن عفان رضي الله عنه يسير على نهج إسلامي في حكمه، اذ جعل مقياسه الصدق في القول، ثم دعم رأيه بقول النبي (ص).

أما الامام علي ابي طالب رضي الله عنه، فقد حكي عنه أنه قال: لو أن الشعراء المتقدمين منهم زمان واحد ونصبت لهم راية فجروا معا علمنا من السابق منهم وإذا لم يكن فالذي لم يقل لرغبته ولا لرهبته

[1] العمدة لابن رشيق القيرواني ج1، ص78.

فقيل: ومن هو فقال: الكندي "يعني امرؤ القيس" قيل: ولم يقال: لأني رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة"

فهذا حكم لا يقف عند حد الاعجاب، وانما يأتي به الامام معللا فأمرؤ القيس أحسن الشعراء نادرة واسبقهم بادرة، يشير بذلك الى جمال معانيه المبتكرة.

وقد وقف ابن رشيق عند كلمة الامام السابقة فقال ان امرأ اللتين لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق الى أشياء ما استحسنها الشعراء واتبعوه فيها لأنه ـ قيل ـ أول من لطف المعاني، واستوقف على الطول، ووصف النساء الضباء وألمها بالبيض، وشبه الخيل بالعصي، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد، وقرب مأخذ الكلام فقيد الأوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه.

حدود في الشعر والشعراء "أن الأسود بن يعفر التهشلي. وكان أعمى قال من قصيدة دالية مشهورة:

فأرى النعيم وكل ما يلهي به يوما يصير الى بليّ ونفاد.

نسمع الإمام علي رضي الله عنه رجلا يتمثل بالبيت هذا فقال: كم تركوا من جنات وعيون" [1]

وهنا بيد وتأثر الامام بالقرآن الكريم، فيبدي اعجابه بهذا الشعر لإتقانه وتعاليم الإسلام، وفي المقابل فراه يحث المسلمين على حفظ القرآن الكريم فقد روى صاحب الأغاني أن غالبا أبا الفرزدق الشاعر جاء الى علي بن ابي طالب بالفرزدق بعد موقعة الجمل بالبعرة فقال: إن بني هذا من شعراء مضر فاسمع منه فقال علي: علمه القرآن فكان ذلك في نفس الفرزدق فقيد نفسه والى أن لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن[2].

[1] الشعر والشعراء لابن سلام الجمحي ج1 ص256.

[2] الأصفهاني ابر الفرج علي بن حسين الأغاني ج1 ص 175.

أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو أكثر الخلفاء الراشدين أثرا وتأثيرا في النقد الأدبي، فكان على حد تعبير ابن رشيق "من انقد أهل زمانه للشعر وأنقدهم فيه معرفة [1]، تسعفه معرفة بالشعر روايته فلا يكاد يعرض له امر الا انشد فيه بيت شعري[2]

لأغرو ان يعجب عمر رضي الله عنه بالشعر الذي يجافي روح الإسلام، فكانت لمنزلة الرقيب الأخلاقي على شعراء المديح والهجاء، والحطيئة على وجه الخصوص فقد روى صاحب الأغاني انا لحطيئة مدح أبا موسى الاشعري، وقد جمع جيشا للغزو بقصيدة منها:

وجعفل كبهيم الليل متجع**أرض العدو يئوس بعد انعام.

جمعت من عامر فيه ومن جسم**ومن فيهم ومن سام ومن حام.

فوصله أبو موسى، فكتب له أبو موسى: اني اشتريت عرضي منه بها، فكتب اليه عمر: ان كان هذا هكذا وانما فديت عرضك من لسانه ولم تعطه للمدح والفخر، فقد احسنت"[3].

وفي المقابل كانت رقابته على شعر الهجاء انشد وطأة، فقد ذكر ابن سلام في طبقاته ان الحطيئة دم الزبرقان: ما قال لك: فقال: قال لي:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ** واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي.

فقال عمر لحسان: ما تقول اهجاء ؟ وعمر يعلم من ذلك ما يعلم حسّان ولكنه أراد الحجة على الخطيئة – قال: ترق عليه، فالقاه عمر في حفرة اتخذها محبسا[4] وقد ظل في محبسه حتى شفع له عمر بن العاص

[1] ابن رشيق القيرواني العمدة ج1ص175.
[2] الجاحظ البيان والتبيين ص 216.
[3] المصدر السابق ج175/2-176.
[4] الأغاني الاصفهاني ص310.

فأخرجه عمر وقال له إياك وهجاء الناس قال: إذن يموت عيالي جوعا، هذا مكسبي ومنه معاشي. قال عمر: فإياك والمقذع من القول! قال: وما المقذع؟ قال: أن تخاير بين الناس فتقول فلان خير من فلان وآل فلان خير من آل فلان: قال: فأنت والله اهجى مني فقال عمر: والله لولا ان تكون سنة لقطعت لسانك...." [1]

ويقال ان عمر لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد الحجة عليه فاشترى منه أغراض الملمين جميعا بثلاثة آلاف درهم، فكف عن الهجاء طوال حياته عمر ثم عاد الى الهجاء بعد وفاته.

ولعل عمر رضي الله عنه كان يدرك أثر الهجاء في النفوس، وما يوقعه فيها من ا لم، وما سماعه لرأي حسان الا تقدير لمكانة شعر الحطيئة وقوة معانيه وما كان تصرفه مع الحطيئة الا درءا لأذى الهجاء.

وكان عمر رضي الله عنه يتأثر بالشعر الرقيق الذي يهز وجدانه فقد روى ابن سلام عن أمية بن حرثان الاشكري أحد الشعراء المخضرمين، أن ابنه كلابا واخاه هاجرا الى البصرة في خلافة عمر، بعدما كبر وكف بصره، وتراص الى عمر قول أمية:

لمن شيخان نشد كلابا **كتاب الله ان حفظ الكتابا؟

اذا هتفت حمامة بطن داء** على بيضاتها ذكرا كلابا

تركت اباك مرعشة يداه ** وأمك ما تسيغ لها شرابا

فتأثر عمر بهذا الشعر، وكتب الى ابي موسى الاشعري، بانتعاص كلاب الى ابيه فلم شعر امية الاهانة، فقال: ان كان كلاب في الناس حيا انه هو[2] صنو ذلك موقفه مع الحطيئة، فقد ذكر صاحب الأغاني إن

[1] ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء ص 280

[2] المصدر نفسه ص

يزيد بن اسلم روى عن أبيه قوله: "ارسل عمر الى الحطيئة، وأنا جالس عنده وقد كلمه فيه عمرو بن العاص، وغيره، فأخرجه من السجن فأنشده قوله:

ماذا تقول لأفراخ ندي مرح ** رغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة ** فاغفر عليك سلام الله يا عمر

قال، فبكى عمر حين قال: ماذا تقول لأفراح الذي فرح فقال عمر بن العاص: ماذا أظلتنا الخضراء، ولا أقلتنا الغبراء، اعدل من رجل يبكي على تركه الحطيئة...[1]

وفي هذا تبين أن عمر رضي الله عنه تأثر بالشعر فبرق للصبية الصغار، وهم يسألونه عن سبب القاء ابيهم الذي يعليهم في ظلمة الحبس، ويلين قلبه لأمية وقد تركه ابنه، وبذلك لجح الشاعران في استمالة عمر رضي الله عنه بشعرهما.

ويروي صاحب الأغاني: أن عمر مرّ بحسان وهو نشيد شعرا مسجد الرسول فأحد بأذنه وقال له: أرغاء كرغاء البعير؟ فقال حسان دعنا عنك يا عمر! فو لله لتعلم اني كنت انشد في هذا المسجد من هو خير منك فلا يغير علي فصدقه عمر[2]

فعمر اذ يصدقه ويمضي إنما يفعل ذلك اكراما للذكرى الطاهرة لكراهية لضيع حسان، فقد كان يخشى من فلتات لسانه فنشد من شعره القديم الذي يحدد الإحن ويثير الحمية الجاهلية في النفوس، وآية ذلك انه قهر الناس عن انشاء ما كان يدور من مناقضات بين الأنصار ومشركي قريش فقد روي عنه أنه قال:" وفي ذلك شتم الحي بالميت وتحديد الضغائن، وقد عدم الله امر الجاهلية بما جاء في الإسلام"

---

[1] ابن قتيبة الشعر والشعراء ص

[2] البيان والتبين الجاحظ ص214.

وكان عمر رضي الله عنه ممن يتذوقون الشعر ومن يعدون الشعر "ديوان العرب".

ومن يقرون بقيمته الفنية فكان يعجب بزهير بن ابي سلمى وينشد به فيقول "كان لا يعاضل بين القول " أي ان يداخل الكلام بعض في بعض" ولا يتتبع حنوتي الكلام، ولا يمدح الرجل الا بما فيه

وقد فطن البلاغيون فيما بعد الى ذلك فعدو الغرابة الالفاظ والمعاضلة من العيوب التي تخل بفصاحة الكلام، فأجود الشعر عند الحافظ ما كان متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، محكم النسيج.

وكان يعجب أيضا بحكم زهير، فهو اذا سمع قوله:

فإن الحق مقطعه ثلاث ** يمين او نفار او جلاء

ويقول لبعض ولد هرم "انشد لي بعض مدح زهير إياك، فأنشده فقال عمر: ان كان ليحسن فيكم القول قال: ونحن والله أي كنا لنحسن له العطاء، فقال: قد ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم[1]

وكان يعجب أيضا بشعر النابغة الذبياني، فقد تحدث مع وفد غطنان ان وقد نزل ببابه، أي شعرائكم الذي تقول:

حلفت ولم تترك لنفسك ريبة ** وليس دراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة ** لمبلغك الواشي اغش واكدب

ولست بمستبق اخا لانعمه ** على شعب أي الرجال المهذب

قالوا النابغة يا أمير المؤمنين قال فإيكم الذي يقول:

[1] الاصفهاني الأغاني ص 79.

فإنك كالذي هو مدركي ** وان خلت عنك واسع

خطا طيف حجن في جال متينة ** تمد بها ايد اليك نوازع

قالوا: النابعة، قال: فايكم الذي يقول:

الى اين محرف اعملت نفسي ** فراحلتي قد هدت العيون

اتبعك عايا خلقا ثيابي ** على خوف تظن لي الظنون

فألقيت الأمانة لم تخنها ** كذلك كان نوح لا يخون

قالوا النابعة يا امير المؤمنين: قال: قال هذا اشعر شعرائكم[1]

وفي رواية أخرى انه سأل عن أشعر الناس، فلما لم يجبه أحد، أنشد هو الأبيات السابقة مع شيئ من التغيير بالزيادة والحزن، لما قيل له، انها لنابغة قال: هو أشعر العرب.

فعمر رضي الله عنه يصدر أحكاما ما انطباعية، وقد خلا من التفسير والتعليل وانما نباه على المفاضلة، اذ نظله أولا على الشعراء غطفان من أمثال عنترة والحطيئة، وعروة بن الورد وغيرهم، ممن يرجون باطلهم الى غطفان، ثم فضله ثابتا على شعراء العرب اجمعين.

وخلاصة القول ان النقد في عهد الخلفاء الراشدين ارتقى على يد الخليفة عمر ابن الخطاب، فتطورت احكامه من أحكام غير معللة الى أحكام معللة الى حد ما، وقد جار أن بعض الخلفاء في هذا الاتجاه دون أن يبلغوا شاوه، كما أن هذه الأحكام ظلت جزئية، ولم تقم على نظرية متكاملة في النقد، ولعل أهم ما يحسب لهذا العهد في ميدان النقد هو قيام كثير من الملحوظات النقدية على الجانب الأخلاقي

[1] ديوان النابغة، ص18.

الإسلامي، وتوجيه الشعر وجهة إسلامية، فأصبح عنصر الصدق في الشعر من أصول النقد والحكم وآية ذلك الحكم أصدره عمر رضي الله عنه على مدائح زهير بقوله بدائية كان لا يمدح الرجل الا بما فيه، ومن ثم فضله على بعض الشعراء، وبذلك تبوأ عمر رضي الله عنه مكانة مرموقة في نقد الشعر، بما أوفى من موهبة واستعداد نظري، وعلم بالشعر وقدرة على تذوقه.

جوانب من النقد عند بعض الشعراء المخضرمين:

ويتمثل هذا النقد في بعض الملاحظات النقدية المجملة، وبعض الأحكام الأدبية غير المعللة، التي اثرت عن الحطيئة ولبيد، فقد أثر عن الحطيئة قوله: " خير الشعر الحولي المحك"[1]. فعدد في الأغاني أن الحطيئة قال لكعب:" قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي اليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك فلو قلت شهرا تذكر فيه نفسك وتضعني موضعا بعدك، فإن الناس لأشعاركم أروه وإليها أسرع، فقال كعب:

فمن للقوافي شأنها من يحوكها ** اذا ما ترى كعب وفور جرول[2]

كفتيك لا تلقي من الناس واحدا ** تنحل منها من سيئ ويعمل

نثقفها حتى تلين مثونها ** فيقصر عنها كل ما يتمثل

وفي ذلك كله إشارة الى مدرسة زهير التي تعني بتقبيح الشعر وتهذيبه، والحطيئة هو من فحول الشعراء المخضرمين تصدر عن أحكام نقدية غير معللة، فقد فقد جاء في طيات فحول الشعراء المخضرمين تصدر عن أحكام نقدية غير معللة، فقد جاء في طبقات فحول الشعراء ان الفرزدق بمجابني نهشل فاستعدوا عليه

[1]البيان والتبين الجاحظ ص95.

زياد بن أبيه، فهرب الفرزدق مجابني نهشل فاستعدوا عليه زياد بن أبيه، فهرب الفرزدق، وأتى سعيد بن العاص وهو على المدينة أيام معاوية فاستجاره فاجاره عنده الحطيئة، وكعب بن جعيل التغلبي، فأنشده الفرزدق بقول فيها.

ترى العرب الجحاجح من قرشين ** اذا ما الامر في الحرثان غالا

بني عم النبي ورهط عمرو ** وعثمان الآلي غلبوا أفعال

قياما ينظرون الى سعيد **كأنهم يرون به هلالا

فقال الحطيئة: هذا والله هو الشعر لا ما نعلل به منذ اليوم أيها الأمير فقال له كعب بن جعيل: فضله على نفسك ولا تفضله على غيرك، قال: بل والله أفضله على نفسي وعلى غيري، يا غلام (يقصد الفرزدق) أدركت من قبلك، وسبقت من بعدك

فالحطيئة يصدر حكما نقديا، يفضل فيه الفرزدق على نفسه وعلى سائر الشعراء ويأتي به غير معلل.

صنو ذلك ما ورد عن الحطيئة في نقد الشعراء وترتيب مكانتهم، فقد جاء في الأغاني أن أبا كبيرة قال: بينا سعيد بن العاص يعشي الناس بالمدينة والناس يخرجون أولا اذ نظر على بساطة الى رجل قبيح المنظر، رت الهيئة جالس مع أصحاب سمره، فنذهب الشرط فأبى ان يقوم، وحالت من سعيد الثقافة فقال: دعوا الرجل، فتركوه وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارها مليا، فقال الحطيئة: والله ما صنتم جيد الشعر ولا شاعر العرب فقال له سعيد: اتعرف من ذلك شيئا؟ قال: نعم قال: فمن أشعر العرب؟ قال الذي يقول:

لا اعد الاتثار عدما ولكن ** فقد من فدر رئته الأعداء.

وأنشدها حتى أتى عليها فقال له: من يقولها؟ قال: اجود واد الايادي قال: ثم من؟ قال الذي يقول:

أفلح ما شئت فقد يدرك بال ** جهل وقد يخدع الاريب[1]

ثم أنشدها حتى فرغ منها، قال: ومن يقولها؟ قال عبيد بن الأبرص، قال: ثم من؟

قال والله لحسبك لي عند رغبة أو رهبة إذا ارتفعت إحدى رجلي على الأخرى

ثم عريت في أثر القوافي، عواد الفصل الصادي، قال: ومن أنت؟ قال الحطيئة..."

ومثل هذه المفاضلة تخلو من التعليل، وانما اكتفت بترتيب الشعراء على المستوى الفني، فأشعرهم الذي ينطق بالحيلا من الشعر هو أبو دواد الايادي، ثم يليه في الرتبة عبيد بن الابرص، فالحطيئة نفسه.

وفي خبر أورده صاحب الأغاني يضع الحطيئة زهيرا والنابغة في المرتبة الأولى بين الشعراء المتقدمين، وذلك إذ سأله ابن عباس: يا أبا مليكة من أشعر الناس؟ قال أمن الماضين أم من الباقين؟ قال: من الماضين، قال: الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ** يفره ومن لا يتق الشتم ليشتم

وما دونه الذي يقول:

ولست بمستبق أخالا تلمه ** على شعث، أي الرجال المهذب.

ولكن الضراعة افسدته كما افسدت جرولا والله يأنب عم الرسول الله لولا الطمع الخشع لكنت أشعر الماضين، واما الباقون فلا تشك اني اشعرهم، وأصدرهم سهما اذا رميت"[2].

---

[1] طبقات فحول الشعر أولا بن سلام جمحي، حققه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط2 1374 ص321.

1 الاصفهاني، الأغاني، ص204.

وهذه مفاضلة تدخل القيم الأخلاقية في النقد الادبي، فقد أمر الحطيئة بأن الطمع والجشع يقللان من منزلته الشعري، ولكنه ينافض نفسه في خبر آخر اذ يجعل نفسه اشعر الناس، فقد روى حماد عن أبيه أنه قال: بلغني عن عبد الرحمان بن أبي بكر أنه قال: لقيت الحطيئة بذات عرق، فقلنا: ذبا أبا مليكة ومن أشعر الناس؟ فأخرج لسانه كافة لسان الحية ثم قال: هذا إذا ضمع.

وفي خبر وفاته الذي أوره الأغاني أنه: اجمع اليه قومه فقالوا: يا أبا مليكة أوصي فقال: ويل الشعر من رواقية السوء، فقالوا: أوصي رحمك الله يا حطئ. قال من الذي يقول.

إذا انبض الرامون عنها ترنمت ** ترنم ثكلى اوجعتها الجنائز

قالوا: الشماخ، قال: ابلغوا غطفان أنه أشعر العرب. قالوا: ويحك! اهذه وصية؟ اوص بما ينفعك، قال: ابلغوا أهل ضائي البرمجي انه شاعر حيث يقول:

لكل جديد لذة غير أنني ** رأيت جديد الموت غير لذيذ

قالوا: اوص، ويحك بما ينفعك! قال: ابلغوا أهل امرؤ القيس إنه أشعر العرب حيث يقول:

فبالك من لبل كأن نجومه ** بكل مغار القتل شدت بيذبل

قالوا: اتّق الله ودع عنك هذا. قال: ابلغوا الأنصار ان صاحبهم وهنا يعني حسان ابن ثابت اشعر العرب حيث يقول:

ليغشون حتى ما تهرّ كلابهم ** لا يسألون عن السواد المقبل

قالوا: هذا لا يغني عنك شيئا، فقل غير ما انت فيه: فقال:

الشعر صعب وطويل سلمه ** اذا ارتقى فيه الذي يعلمه

زلت به الى الحضيض قدما ** يريد ان يعربه معجمه

قالوا: هذا مثل الذي كتب فيه...[1] .

فهذه احكام انطباعية تصدر عن الحطيئة ساعة احتضاره وهي غير معللة، فيقع ثلاثة من الشعر في مرتبة واحدة، بوصفهم أشعر العرب، كل في موضع بعينه.

فالشامخ في تصوير قوسه، امرؤا القيس في تصوير الليل المثقل بهمومه، وحسان ابن ثابت في تصوير الجود والكرم، وأما ضائي البرجمي فشاعر في تصويره الموت، وهكذا يبلغ كل واحد من هؤلاء الشعراء درجا من الابداع في التعبير عن فكرته، فاستحق ان يلقب بأنه أشعر العرب أو شاعر فقط.

وللبيد بن ربيعة العامري الشاعر المخضرم الرد القليل من النقدات، فقد أورد له صاحب الأغاني خبرا رواه عن عبد المالك بن عمير قال: من ارسله القراء الاشراف الى لبيد بن ربيعة وهو في المسجد وفي يده محجن فقلنا: يا أبا عقيل، إخوانك يقرئونك السلام، ويقولون: أي العرب أشعر؟ قال الملك الضليل ذو القروح فردوني اليه قالوا: ومن ذو القروح؟ قال: امرؤا القيس فأعادوني إليه وقالوا: ثم من؟ قال: الغلام ابن ثمانية عشر سنا، فردوني اليه فقلت فقلت: من هو فقال طرفه، فردوني اليه فقلت: ثم من؟ قال صاحب المحجن حيث يقول:

ان تقوى ربنا خير نقل ** وبإذن الله رشي والعجل

احمد الله ولا ندبه ** بيديه الخير ما شاء فعل

من هداه سبل الخير اهتدى ** ناعم البال ومن شاء اضل

---

[1]الاصفهاني الأغاني ص96.

يعني نفسه ثم قال: استغفر الله [1]

وواضح أن هذا النقد يخلو من التحليل، وإنما أقامه لبيد على المفاضلة فأشعر العرب عنده ثلاثة هم: امرؤ القيس ثم طرفه، ولبيد نفسه ونلاحظ أن لبيد سيشهد لبعره من الإسلام و كأنه يومي الى الجانب الأخلاقي الإسلامي في شعره.

[1]المصدر نفسه ص 62.

الفصل الثاني: طبيعة النقد ومعاييره في صدر الإسلام

المبحث الأول: المعايير ذات الطبيعة الدينية والأخلاقية

المبحث الثاني: المعايير ذات البعد الفني

المعايير ذات الطبيعة الدينية والأخلاقية

المعيار الأخلاقي هي أحدى صور التعبير العملي للدين وليس من خط واضح يفصل بين الخلق و الدين في الاسلام.

وإذا تساؤلنا عن مفهوم الأخلاق في الاسلام فإنها لا ريب تعني مجموع المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الانساني التي يحددها الوحي على النحو يحقق الغاية من نزول آية والأخلاق ليست جزءا من مبادئ الدين الاسلامي بل هي في صميمه وهي أيضا روحه السارية في جوانبه وعلى كل هذا يمكن القول أيضا روحه السارية في جوانبه وعلى كل هذا يمكن القول أيضا أن نظرة الاسلام للشعر ليست نظرة جزئية وانما هي ضمن الموقف العام من الحياة.

وقد أثرت هذه القاضية أي موقف الاسلام من الشعر النقاش والحوار بين الباحثين وأدلى كل منهم بدلوه فانقسموا فرقا واتكئ فريق على بعض الآيات القرآنية أو الروايات أو الأقوال التي تؤيد موقفه مما يدفع حجة الآخرين ويثبت بطلانها[1].

وهكذا اشتبكت معايير النقد وتضاربت الآراء في تحديد موقف الاسلام من الشعر وذلك الاختلاف أصابها في تحديد وظيفة الشعر أهو قول يكشف عن سلوكية أخلاقية عالية في الافصاح عن الحق وفي ابادة وصفه

أم أنه قول يؤسس على نوازع انسانية تشوبها قيم لا يربطها بالأخلاق رابط فتصبح القيمة معيارا في الحكم والاستنتاج.

[1] أنظر حسان بن ثابت في معايير النقد الأدبي .د عبد الجبار المطلبي مجلة الورد مج عددة4 سنة 1980م ص91.

وأمام كثرة الآراء نجد أنفسنا ازاء موقفين متناقضين في تقويم موقف الاسلام من الشعر:

أحدهما يقول ان الاسلام أقر الشعر شريطة أن يكون لخدمة الدين والنظام الذي يؤسسه ولا تقوم الأداة بذاتها بل بوظيفتها.

هو وسيلة لغاية أشرف منها وأعلى لأن الدين هو الحق والشعر هو تعبير عن هذا الحق والنقد الصحيح هو الذي يستطيع معرفة مدى المطابقة فيما بينها أي اكتشاف الوحدة القائمة بين الشعر والغاية الأخلاقية.

و وقد ذهب احد الباحثين الى أن الدين و ما يشرعه من قوانين أخلاقية حاول بين الحين والآخر بسط نفوذه على مناحي الحياة وفي العصر الاسلامي حاول الدين للمرة الأولى بسط نفوذه وسلطانه على الشعر العربي لكن نجاحه كان ضئيلا اذ بقيت في العرب روح الجاهلية وظل الشعراء يتمتعون بحرية واسعة في القول في صدر الاسلام وفي العصور العباسية[1].بين ان الباحث لم يوضح لنا طبيعة هذه الحرية الواسعة التي كان يتمتع بها الشعراء في صدر الاسلام لانه ذو موقف شامل من الحياة العامة حاول بما وضعه من الضوابط السيطرة على وسيلة الدعوة في المجتمع –وهي الشعر – بما يكفل له تطويعها في خدمة مبادئه وقيمه كما انه قد غمر مساحة واسعة من الأرض والفكر والنتاج الانساني والأدب جزء من هذا النتاج فهو أولى أيضا بالتغيير والتطور

وقد ساهم الشعر في تسجيل دعوة الدين وشعائره واذاعتها بين الناس فالشاعر في المفهوم الاسلامي (ينقلب الى أخلاقي مؤشر قد يفوق الأخلاقي) غير الشاعر في أداء الرسالة وخدمة الدولة وغايتها المثلى [2]. ويجمع فريق الباحثين (3)[3] على أن الاسلام شجع الشعر وأحدث نهضة فنية في عصر الدعوة كان من

[1]د عباس ثابت حمود. المعيار الاخلاقي في نقد الشعر العربي من القرن 3 هـ الى نهاية القرن 9 هـ عمان دار الدجلة ط2 2011 ص 93.

[2] عبد الجبار طلبي مواقف في الأدب والنقد. دار الرشيد للنشر بغداد ط2 1980م ص 193.

[3] يوسف خليف تاريخ الشعر العربي ط1 ص18-19 دار الثقافة بيروت 1986.

أخص سماتها ابراز الشاعرية القريشية وخلق مدرستين أدبيتين هما مدرسة المدينة بما اشتملت شعر الشعراء على أساليب جديدة تسمها روح الاسلام ومدرسة مكة التي وقفت تناوئ القيم الجديدة فوقف الاسلام محاربا للشعراء ومنهجهم كمنهج الاهواء والانفعالات التي لا ضابط لها وكان من الطبيعي أن يترك ذلك أثره في النقد الأدبي فيبرز المعيار الديني الأخلاقي جليا في تقويم الأثر الأدبي.

أما الرأي الثاني يقف موقفا مغايرا لما سلف ذكره فبضاعة أصحابه من القول أن الاسلام أضعف الشعر وعطل الناحية الابداعية فيه ولا ريب أنهم اتكأوا في ذلك على فهمهم لبعض أقوال السلف الصالح, ومن ذلك قول ابن سلام تعليقا على قول عمر بن الخطاب (ض) الذي ذهب الى :أن الشعر كان علم القوم ولم يكن علم أصح منه (فجاء الاسلام , فانشغلت عنه العرب وتشاغلوا عنه بالجهد وغزوا فارس والروم ,ولهت عن الشعر ورواياته[1].

ويخل لنا أننا لا نصيب الحقيقة اذا فسرنا هذا القول على أنه دليل على ضعف الشعر ,فالشاغل عنه وعدم رواياته لا يقدمان حجة في أن الاسلام قد عطل الناحية الابداعية عند الشاعر و ربما اتكأ بعض أصحاب هذا الرأي على ما ذهب اليه الأصمعي بأن الشعر نكد يقوي في الشر فاذا دخل في الخير لان

وسنتطرق الى راي الاصمعي في مكان اخر من هدا الفصل

ويرجع أحد الباحثين أسباب ضعف الشعر الى جملة أمور منها:

-انشغالهم بالقرآن الكريم وأمر الدين الجديد كما أن دفع القرآن الشبيهة عن نفسه بأن يكون شعرا جعل الناس ينظرون اليه على أنه تقليد جاهلي.

[1] محمد بن سالم الجمحي تعليق وشرح محمود محمد شاكر طبقات فحول الشعراء ط3.مطبعة المدني القاهرة ص63.

-ان أعداء الاسلام كانوا يحاربونه بالشعر فلم عم الاسلام كانت كراهة هذا الشعر قوية في نفوسهم فتناسوه وامتنعوا عن روايته.

-كما اتجه في عصر الجاهلية الى نحو من التفكير جار حول العقائد والدين والشعر يذهب هذا المذهب في طور شيخوخته فأرفضه ذلك وحطه عم مستواه[1].

-ولا يسوق لنا الباحث دليلا يصب به في الحقيقة بل أنه تركنا نتساءل أضعف الشعر في مناقشاته للأفكار أم في الصياغة الفنية كما أننا لم نقف على نماذج نكتشف من خلالها تلك المناقشة

الفكرية في الشعر حول العقائد والدين في العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام ,بل على العكس عزا بعض الباحثين سبب ضعف الشعر الى الناحية الروحية والمعنوية لم تنفذ بعد الى قلوب المسلمين بقوة تفجيرهم ينابيع الفن الرفيع.

-ومن الأسباب الأخرى التي عدوها سببا في ضعف الشعر هي:

-محاربة الدين للعصبية القبلية التي كانت تذكي الشعر وتحريمه للأغراض التي تنشط القرائح كالخمر و مغازلة المرأة واثارة الضغائن والأحقاد والثأر كما توهم الباحثون باعتقادهم أن الرسول صل الله عليه وسلم قد عرض بالشعراء و هاجم الشعر متأثرا بعداوة من عاداه من شعراء قريش و شعراء اليهود مما أضعف الشعر.

أصول المعيار الديني في نقد الشعر:

لقد ركبنا القول في هذه القضية –أي قضية ضعف الشعر– نستهل بها الوقوف عند جذور (المعيار الدين) في نقد الشعر العربي الذي أسهم في صياغة المعيار الأخلاقي و(نضجه) عند الردة القدامى.

[1] نجيب محمد تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري مؤسسة الخانجي القاهرة 1976م ص113 -114

ونعني (بالمعيار الديني) تلك الاحكام والآراء والأقوال التي اتخذت موقفا نقديا من الشعر أو الشاعر ,تتصل بالاسلام و قيمه الأخلاقية[1] , أي تلك الأحكام التي وردت في كتاب الله المعجز وأقوال نبيه الفصيح والصحابة التابعين ,والتي لونت النقد العربي القديم بألوانها وبقي صداها يتردد بين ثنايا أسفارهم و آرائهم جليا ,فمعرفة موقف الاسلام من الشعر العربي (تتعلق بقضية ثقافية كبرى تهم واقع التفكير العربي (وايديولوجياته) بما فيها من طموح وأخلاقية ,ومعان حضرية عبر عنها الشاعر العربي باخلاص وأمانة في قصيدته التي تعد مثله الأعلى في حياته الثقافية سواء أكانت غزلا ,مدحا ,فخرا ,حماسة ,هجاء أم رثاء[2]. وقد حظي الشعر بهذا الاهتمام لما له من خصوصيته في حياة العربي وتقليده ولأنه أحد الروافد الرئيسية في ثقافة المجتمع العربي.

-ولا ريب في أن يكون القرآن الكريم أهم تلك الأصول التي ورد فيها الوقف النقدي من الشعر العربي ,فلقد ورد ذكر الشعر والشعراء في القرآن الكريم في المواضيع الآتية :

-قوله تعالى: «وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين»[3].

- وقوله تعالى: «بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر»[4].

-وقال عز وجل: «ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون»[5].

---

[1] تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث هجري نجيب محمد مؤسسة الخانجي القاهرة 1976.ص113-114.

[2] موقف القرآن من الشعر العربي د عناد غزوان مجلة الأستاذ /كلية جامعة بغداد مج15سنة 1967.ص97.

[3] سورة يس الآية 69.

[4] سورة الأنبياء الآية05

[5] سورة الصافات الآية 36.

-وقال الله تعالى: «أم يقولون شاعر تتربص به ريب المنون»[1].

-وقال عز وجل: «ماهو يقول شاعر قليلا ما تؤمنون»[2].

وقد خص الله تعالى الشعراء بصورة في كتابه الحكيم جاء فيها «والشعراء يتبعهم الغاون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون *الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا*وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»[3].

-واتكاء على ما سلف ذكره يصبح يمكن القول أن مجمل ما ينطوي عليه موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء يفصح عن:

-تنزيه الرسول صل الله عليه وسلم عن قول الشعر.

-نفي دعاوى المشركين يكون القرآن شعرا أو ضربا من الشعر.

-تقويم (نفي) الشعر وفق النظرة الاسلامية الجديدة وجعل الشعر في مسار متساوي مع مثل الدين الجديد وتعاليمه وأهدافه.

وهذه الحقائق لا تقلل من قيمة الشعر العربي وأصالته بل خلافا لذلك تعني أن الإسلام، وهو ما الحدث العظيم قد أولى الشعر اهتماما بالغا لمكانته الرائدة في حياة العرب، فهو ما ملكه من ملكاتهم الغنية التي عرفوا بها حتى أصبح بعضا من فكرهم وذا أثر فعال في نفوسهم.

---

[1] سورة الطور الآية 30.

[2]سورة الحاقة الآية 41.

[3] سورة الشعراء الأيات (226-224).

ولا يدفع القول أن النبي صل الله عليه وسلم ليس بشاعر حقيقة أنه قادر على تذوق الشعر ونقده ,فالممتع لما روى عنه من موافق عنه من مواقف تجاه الشعر والشعراء لابد أن يستشف أنه صل الله عليه وسلم قد استمد موقفه النقدي للشعر العربي من روح القرآن والاسلام دنيا وعقيدة ونظاما ,وهو موقف المشجع له حيثما عبر عن مثل وقيم المجتمع الجديد الممثل بالأخلاق الرفيعة البعيدة عن الابتذال والاتكاء على أغراض فردية ,من غزل فاحش ,و هجاء مقذه و مدح كاذب و فخر جاهلي مما أسهم في صياغة المعيار الأخلاقي في نقد الشعر و تعميمه ولا يتعارض هذا مع تقويم الرسول الله صل الله عله وسلم الجمالي للشعر[1](أ).في قوله :«أن ما من البيان لسحر»[2].

مما يشير الى الاعجاب الشديد بهذا الفن ذي الصناعة الجميلة المؤثرة ,بيد أن الأحكام القرآن الكريم ومثله الأخلاقية بقيت المعين الذي تصدر منه أحكامه مع فهم عميق لمكانة الشعر في حياة العرب وأصالته كقوله صل الله عليه وسلم (لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين)[3].فهذه العلاقة الروحية بين العرب و الشعر كانت واضحة تتردد بين ثنايا أحكامه صل الله عليه وسلم النقدية الا أنه وضع قاعدة لنقد في قوله: (انما الشعر كلام مؤلف ,فما وافقت الحق منه فهو حسن ,وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه)[4].

-والحق في هذه القاعدة النقدية هو قيم للاسلام التي تضمن الابانة عن الحقيقة الانسانية والأخلاقية في الفكر والسلوك.

وعلى ضوء هذه القاعدة النقدية كان الرسول الله صل الله عليه وسلم يعجب بالأشعار التي تحوي حكمة بليغة أو تحث على مكارم الأخلاق كاستحسانه لقول طرفة بن العبد (من الطويل):

---

[1] بن زيد د داود سلوم شعر الكميت مطبعة النعمان النجف الأشرف 1969.ص 100.

[2] الجاحظ النسيان والتبني ص94.

[3] ابن قتيبة الشعر والشعراء ص86.

[4] المصدر نفسه ص25.

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود [1].

وقد روى أنه كان يعلق على هذا البيت بأنه كلام النبوة.

وبنى العلماء والنقاد موقفهم من هذا الشعر على الضوء موقف الرسول صل الله عليه وسلم فأبوا عمر بن السعيد يقول: (ليس من البيت الا وفيه لطاعن مطعن الا قول طرفة بن العبد)

وعن ابن عباس أن هذا البيت (كلمة بني ألقيت على لسان شاعر) بينما يرى الثعالبي (429هـ) أن هذا البيت من أمثاله السائرة على وجه الدهر.

ويشبه قوله صل الله عليه وسلم: أن أصدق كلمة قالها الشاعر ,وأشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد (الا كل شيء ما خل الله باطل)[2].

-وهكذا ساهمت أحكام الاسلام في بناء جانب أساس في المعيار الأخلاقي في نقد الشعر العربي. فهذا أمية بن أبي الصلت الشاعر الجاهلي الذي كان يضمن شعره كثيرا من قصص الأنبياء وألفاظا يأخذها من الكتب المتقدمة كما يقول أن قتيبة (276هـ)لما أنشد الرسول صل الله عليه وسلم شعر هذا الشاعر قال :(آمن لسانه وكفر قلبه).

والرسول الكريم قد تصدى في أحكامه النقدية لأبرز الشعراء فقد حدد مرتبة امرئ القيس بين الشعراء وجعله على رأسهم,وأعطاه قيادهم ,فتبعه النقاد و ساروا على هديه ,حيث قال صل الله

عليه وسلم: ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها ,مني في الآخرة خاصل فيها يجيئ يوم القيامة

---

[1] ديوان طرفة بن العبد حققه وقدم له فوزي عطوي الشركة اللبنانية للطباعة والنشر بيروت لبنان 1983.ص 58.

[2] صحيح مسلم البخاري ط بالمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر 1388.هـ ج8ص43.

معه لواء الشعراء الى النار)[1].فقد جعل بيده لواء الشعراء لقيمة شعره الفنية و مقدرته المتميزة بين الشعراء فهو (قد خسف لهم عين الشر)[2] كما يقول عمر بن الخطاب (ض)ولكن الرسول صل الله عليه وسلم لا ينسى المعيار الأخلاقي في حكمه فيجعل الهلاك مصير من ينتهك الأعراض بشعره ولا بد أن نترك مقولة الرسول هذه في امرئ القيس أثرها عند النقاد العرب فاين رشيق يقول (ان لكل واحد من الشعراء طائفة تفصله وتتعصب له وقل ما تجتمع على واحد الا ما روى عن النبي صل الله عليه وسلم في امرئ القيس أنه أشعر الشعراء و قائدهم الى النار)[3] .

فالشعر لابد ان تكون غايته من وجهة الاسلام أخلاقية بل أن الشعر لما كان يدافع عن الاسلام المسلمين كان من يؤيده روح القدس حيث كان يقول صل الله عليه وسلم لحسان بن ثابت أهجهم وروح القدس معك أي جبريل معك[4].

وكان هذا الشعر المؤيد من الله هو نضج النبل ,هو أشد عليهم من السهام في غلس الظلام .

–فالرسول صل الله عليه وسلم حين تصدى لنقد الشعر ينطلق في أحكامه من روح الرسالة السماوية ولابد أن يصير كل شيئ في المجتمع لخدمة هذه الرسالة خاصة الشعر الذي هو ديوان العرب و مستودع علومها و قد كام موقفه حازما من الشعر الذي ينتهك الأعراض ويثير الضغائن و يحاول النيل من الاسلام والمسلمين ,فحدد موقفه من شعر الهجاء فقال (لأن يمتلئ جوف أحد مقيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا).ولا ريب أن الوهم و الخطأ يكون بضاعة من يفسر هذا القول بأنه غني من الشعر عامة ,ومهما لا شك فيه أنه صل الله عليه وسلم يقصد به الشعر الذي يحاول النيل من قيم الدين الجديد ,بل

[1] ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء ج1 ص 138.
[2] المصدر نفسه ج1.ص 193.
[3] العمدة لابن رشيق القيرواني ج1ص94.
[4] ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء ج1ص 142.

أننا نجد ما خالف هذا اذ يشير الرسول صلى الله عليه وسلم الى الشعراء المسلمين (اهجوا بالشعر ,ان المؤمن يجاهد بنفسه وبلسانه) [1]

والروايات التي تنقل لنا استحسان الرسول صل الله عليه وسلم للشعر واعجابه به كثيرة فعندما أنشدته الخنساء كان بيدي اعجابه يقول: (هيه ياخنادق) ويومئ بيده [2] وحين يسمع قول عنترة بن شداد (من كامل):

ولقد أبيته على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل.

تعجبه القيم الأخلاقية التي توثى بها ويقول: (ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه الى عنترة)[3]

ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بتقييد الأحكام النقدية التي تستمد أصولها من روح الاسلام و تعاليمه التي توغل جذورها في أغوار الموقف النقدي الأصيل و هو موقف القرآن الكريم بل كان يبدي ملاحظاته التي تقوم قصيد الشعراء المسلمين فقد روى أنه لما أشده النابغة الجعدي قوله (من الطويل):

بلغنا من السماء مجدنا و جدودنا وانا لنرجوا فوق ذلك مظهرا قال: ابن المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال النابغة : الجنة يا رسول الله قال صل الله عليه وسلم أجل ان شاء الله تعالى[4] .و قصة كعب بن زهير مع الرسول صل الله عليه وسلم توضح لنا موقف الاسلام في معاقبة الشاعر الذي لا يلتزم بالمسار الاخلاقي فهو عندما هجا الرسول الكريم وأخاه يجبر بن زهير توعده الرسول وأهدر دمه حتى قدم تائبا و ألقى قصيدته الرائعة المشهورة:

---

[1] مسند امام أحمد بن حنبل دار صادر للطباعة والنشر بيروت. 1966م.ج3. ص456.
[2] صحيح البخاري ج8 ص 45.
[3] الاصفهاني أبو علي الفرح بن حسين الأغاني ج8ص 243
[4] ابن قتيبة الشعر والشعراء ص 195.

بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول متيم أثرها لم يعد مكبول[1].

فأصغى اليها الرسول معجبا و استمع الى غزل كعب في مطلع القصيدة وهو غزل جميل لم يخف فيه الشاعر صبوته الى تلك الحبيبة الجميلة عفيفة الطرف والتي امتزج و طاب فمها بطعم الخمر ففازت القصيدة باعجابها فنيا ,و كان للقيم الأخلاقية و الاسلامية أيضا نصيب وافر في رضا الرسول الكريم عنها و اشادته بها ,و لقد أفصح الرسول عن هذا الاعجاب حيث أنهى الشاعر قصيدته فنهض الرسول و رضى عليه بردته بعد أن شمله بعفوه.

لا تخلو حركة نقدية في اية أمة من الأمم وفي أي عصر من العصور من معايير تستند اليها في تقويم الاعمال الفنية والحكم عليها بالجودة أو الرداءة، وهذه الموازين تمت بصلة قوية الى ذرق الامة وتصوراتها للحياة والى مجموع المعتقدات والتقاليد والأعراف التي نؤمن بها، لذلك نلاحظ أن المقاييس النقدية لا تعرف الثبات، بل هي في تغير مستمر من عصر الى عصر بسبب النمو او التطور الذي يمس حياة الأمم في شتى جوانبها، لذلك فإن تحديد المقاييس النقدية في العصر الإسلامي يتطلب منا ان نتذكر ان معجزة القرآن كانت معجزة بيانية هدفها تحدي العرب في الارتقاء الى مستواه من الفصاحة والبيان: فالإسلام كما هو حارب العقائد الوثنية التي كانت غالبة على الحياة الجاهليين ودعا الى التوحيد بالاعتقاد في اله واحد لا شريك له وترك عبادة الاوثان والاستقسام بها بعدما يتنافى مع عقيدة التوحيد، ونبذ كثير من القيم والمثل والعادات التي كانت سائدة بينهم كالتفاخر بالأحساب والانساب والعصبيات ووأد البنات وسفك الدماء بغير حق، وحرم عليهم الخمر والتنابز بالألقاب قذف المحصنات، ومن هذه التعاليم والقيم والمثل التي اقرها

[1]ابن سلام الجمحي ارصفة في طبقات الشعراء. ج1 ص99.

الإسلام للإنسان نهجا في الحياة ومن تمجيده الفصاحة والبيان لما جاء في قوله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاوون الم ترى أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون[1]".

أ- المعايير الدينية والخلقية:

ان ما ينفي ان نلفت النظر في هده النظرية هو أن المعايير الدينية والأخلاقية سنتعلق بتقويم العمل الادبي من حيث محتواه الذي قلنا فيها سبق ان تقاد في العصر ركزوا جهودهم لوصله بتعاليم الدين، ومبادئه التي كان هدفها تحويل الشعر الى أداة بناء إيجابية في المجتمع. ثانيا الرسول (ص) يصوغ مبدا جديدا للتميز بين جيد الشعر ورديئه فقال: "نما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه [2] والحق قيمة دينية وأخلاقية عالية، لكن الرسول (ص) جعله محكما للتمييز بين ما ينبغي أن يستحسن من الشعر وما يستهجن منه، والجانب المخصوص بالتقويم هنا هو مضمون العمل الفني، الذي يجب أن يكون متوافقا مع الحق بعيدا عن الباطل الذي يشمل كل ما هو قبيح من فعل أو قول أو اعتقاد، فقبول الشعر ورفضه لا يخضع لما فيه من جمال فني بحسب، بل لا بد من النظر الى الطبيعة مضمونة ايضا. فإذا ما تعارض مع اخلاق الإسلام ومبادئه فإنه يرفض لأن الرسول (ص) وصحابته الذين كانت لهم عناية بتقييم الشعر، أرادوا ان يبدأ الشعر "بالإسلام مرحلة جديدة تتبدل فيها وظيفة ... مرحلة يستقي فيها من نبع الإسلام الصافي ثم ينطلق في جميع المجالات على هدى من تعاليمه ومبادئه"[3] لذلك تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: الشعر فيه كلام حسن وقبيح فخد الحسن واترك القبيح"[4] وسأحاول ان ابرز اهم المعايير الدينية والأخلاقية التي استند اليها النقد في هذه الفترة من خلال الملاحظات التي كان

1 سورة الشعراء الآيات 224-225-226

2 ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني الازدي العمدة تحقيق محي الدين عبد الحميد بيروت، دار الخليل، ط5 1981ج1، ص27.

3 تاريخ النقد الادبي عند العرب لعبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت، ص52

4 المصدر السابق، ص28

يديها الرسول (ص) وصحابته على ما كان ينشد عليهم من شعر عرفنا ان الرسول (ص) قول لبيد" الاكل شيء من خلا الله باطل" قال انه اصدق كلمة قالها الشاعر فاذا بحثنا على الأسباب التي حملته (ص) على استجادة هذا الشطر والتنويه به كانتا في انسجام فكرته مع الفكرة الإسلامية عن الله عز وجل وعن بقية مخلوقاته في هذا الوجود.

بمعنى أن توافق هذه الفكرة مع الحق هو ما احلها في منزلة طيبة من نفس النبي صلى الله عليه وسلم، وهو السبب عينه الذي سيجعل ابى بكر يقول للبيد شأنه "صدقت" لكنه حين اتبعه بقوله "وكل نعيم لا محالة زائل" فان استهجن فكرته لمخالفتها الحقيقية قال له: "كذبت عند الله نعيم لا يزول".

فالصدق والحق هما خلاف الكذب ومجانبة الحقيقة، معيار نقدي مهم في تقييم الاعمال الشعرية في هذه الفترة ويمكن أن نعرض في هذا المجال طائفة من الأحكام النقدية التي تبين أهمية هذا المعيار عند نقاد هذا العهد، فقد انشد النابغة الجعدي الرسول (ص)قائلا:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له ** بوادر تحمي صفوة ان يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له ** حليم إذا ما أورد الامر أصدرا

فأعجب الرسول (ص) بهذه الفكرة فقال له:" لا يفضض الله فاك.

وسم هذا الاعجاب يكمن في موافقة محتوى البيتين لمبادئ الإسلام فالله سبحانه وتعالى يقول:" خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين"[1].

[1] سورة الأعراف الاية

ويقول عليه الصلاة والسلام: "ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب" معنى هذا ان النابغة الجعدي، مان صادرا في بيته المتقدمين عن الحق، لأن كل ما وافق الإسلام فهو حق، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ونرى الخليفة عمر بن الخطاب يعجب بشعر زهير ابي سلمى لتوفر عدة صفات فيه منها أنه كان لا يقول الا ما يعرف ولا يمدح الرجل الا بما يكون فيه"[1].

يعني أن الصدق عنده معيار من معايير النقد والحكم على الأثر الفني وتلقينها الفضائل ومكارم الأخلاق. وهي رسالة التي لا يمكن ان ينهض بها الشعراء اذا كان قائما على الافتراء والكذب وقلو الزوى، بنسبتهم الى قيم وفضائل هم ابعد ما يكونون عنها

فيكون ذلك رفعا لهم بغير حق، وانطلاقا منذ هذا المبدأ يلوم الخليفة عمر أبا موسى الاشعري على وصله الحطيئة حيث مدحه بقصيدته التي منها:

وجفل كبهيم الليل منتجع ** أرض العدو ببؤس بعد انعام

جهت من عادر فيه من حشم ** ومن تميم ومن سام ومن حام

مستحقبات رواياها حجافلها ** يسمو بها أشعري طرفه سامي.

فقد أحسن عمر رضي الله تعالى عنه أن في هذا الكلام مبالغة تفضي بالشاعر الى تجاوز الحقيقة ومجانبة الحق، لذلك وجه لومه ال ابي موسى على مكانات الحطيئة على هذا الكلام، فكتب اليه يبرر نصرته:"

[1]الاصفهاني الأغاني ص162.

اني اشتريت عرضي منه بها فكتب ان كان هذا، انما فديت عرضك من لمساته ولم تعطه للمدح والفخر فقد أحسنت"[1]. وبوحي من معيار الحق والصدق كان عمر يعجب بقول زهير:

وإن الحق مقطعة ثلاث ** يمين او فقار وجلاء فقد أصاب زهير الحق في هذه القسمة، لذلك كان رضي الله تعالى عنه بقوله:" لو أدركت زهير لوليته القضاء لمعرفته". وحيث انشد لامية عبدة في الطبيب وبلغ المنشد الى قوله:

والمرء ساع لشيء ليس يدركه ** والعيش شح واشتاق وتأميل

فمصدر اللعب من قوله ليس توفيق الشاعر في القسمة فنيا فحسب بل أيضا قوله وافق الحقيقة.

وقد رأينا الخليفة عثمان انشد قول زهير:

ومهما تكن عنه امرئ من خليفة ** وان خالها تخفى على الناس تعلم

فقال معبرا عن اعجابه: أحسن زهير وصدق، ولو أن رجل دخل بيتا في جوف بيت لتحدث به الناس وقال النبي (ص) لا تعمل عملا تكره أن يتحدث عنك به[2]

فمن البين ان صدق فكرة زهير هي التي حملته على الاعجاب بهذا البيت فعبر عن توافق هذه الفكرة مع الحق بإبراز حديث الرسول (ص) يستوعب معنى البيت.

وتندرج ضمن هذه المقاييس الدينية أيضا كل ملاحظات هؤلاء اتخاد التي كانوا ينطلقون فيها من تعاليم الإسلام ومبادئه في حكمهم على الاعمال الفنية فالإسلام مثلا حرم القذف بما فيه من سبان وتجريح وطعن في الأعراض ومس بالحرمات وما جرى مجراها مما فيه قيل مروءة الانسان وأخلاقه، وعرضه قال

[1] أبو الهلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل الصناعتين تحقيق مفيد قميحة دار الكتب العلمية ص32.
[2] ابن رشيق القيرواني العمدة ص 65.

تعالى:" يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خير منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا تلمزوا أنفسكم ولا تلمزوا أنفسكم ولا تتنابزوا بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون"[1].

ومن هذه الزاوية أصبح الشعر الذي يخوض في السياق الفاحش، وينتهك أعراض المسلمين محظورا، لمخالفة الوجهة التي أراد النقد في هذه الحقبة ان يوجه اليها الشعر، لتكون له وظيفة إيجابية في المجتمع لذلك فرض الرسول (ص) عقوبة شديدة على الهجاء المقذع فقال:" **من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر"** معنى هذا ان الحكم على العمل الادبي لا يقوم على ما فيه من فن فحسب، انما ينتظر أيضا الى القيمة الأخلاقية والدينية لمضمونه، وما يمكن ان يكون لهذا المضمون من آثار، فإذا تعارض مع الدين والأخلاق، فان هذا الشعر يرفض بالغا ما بلغت درجته في السمو الفني، فقد راينا الرسول (ص) ينكد على حسان ان ينشده من الشعر الجاهلي ما فيه هجاء، وان كان المهجو فيه شخصية عاشت في عهد الظلال والشرك، فقد قال عليه الصلاة والسلام يخاطب حسانا حيث اسمعه قصيدة الاعشى في الهجاء علقمة بن علاثة "يا حسان لا تعد تنشد في هذه القصيدة بعد مجلسك هذا"، ومر هذا مع عمر بن الخطاب حينما نهى الناس عن انشاء شيء من مناقضة الأنصار ومشركي قريش، لأن مضامين تلك الاشعار بعد انتصار الدعوة أصبحت تتعارض مع القيم الدينية التي أراد ان يثبها في النفوس .

انطلاقا من هذه المعايير تستوحي الدين والأخلاق الإسلامية في الحكم على النص كان النقاد يقومون الاشعار التي كانت تنشد عليهم فعمر رضي الله تعالى عنه، بعد ان تبين ما في هجاء الحطيئة للزبرقان بن

[1] سورة الحجرات الاية 199.

بدر والنجاش لبني عجلان من إقذاع، رفضه، لمخالفة الروح الإسلامية بل انزع على صاحبي هذا الشعر عقوبة رادعة.

واسنادا الى هذه المعايير الملتزمة باصول الدين والأخلاق كان النقاد يتناولون الأصناف الأخرى من الشعر، فلما انشد سحيم قوله:

وبتنا وسادنا الى علجانة ** وحقق تهاداه الرياح تهديا

وهبت شمالا آخر الليل قرة ** ولا توب الا بردها ورديئا.

فما زال بردي صبيا من ثيابها ** الى الحول حتى المهج البرد باليا.

قال له عمر الخطاب رضوان الله عنه سينتقع خروجه الى المعايير الدينية والأخلاقية في الشعر: "ويلك إنك مقتول"[1].

وقد كانت هذه الموازين منطلق النقاد أيضا في رفض شعر الفخر الذي يستمد اصوله من المثل الجاهلية التي حاربها الإسلام كالفخر بالأحساب والانساب والادمان على شرب الخمر واحياء العصبيات وما الى ذلك، فعندما انشد النابغة الجعدي الرسول الكريم قوله:

اتيت رسول الله اذ جاء بالهدى ** ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

بلغنا السماء مجدنا وحدودنا ** وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فإنه عليه الصلاة والسلام أحس في البيت الثاني عدولا لا عن الاخلاق الإسلامية التي تجعل مقياس التفاضل بين الناس تقوى الله عز وجل وتنبذ كل ما سواها من أضرب الفخر القديم، فقال غاضبا او

[1]الاصفهاني الأغاني ص 305.

كالغاضب:" الى اين يا أبا ليل؟ فاجابه الشاعر الى الجنة، وعندئذ إلتفت فكرة الشاعر مع القيم الإسلامية فاعلن عليه الصلاة والسلام رضاه عما سمعه من شعر فقال: إن شاء الله"[1].

ان هذا الموقف للرسول (ص) وصحابته من الشعر المتعارض مع روح الإسلام ومبادئه، بالإضافة الى مواقف أخرى.

النقد بمعايير جديدة في تقييم الاثار الفنية، وهي معايير تنظر الى الشعر من حيث علاقة محتواه بالدين والأخلاق، لذلك رأيناهم يستجدون "كل شعر فيه انشاد بالعقائد والأخلاق والمثل العليا التي رسمها الإسلام وابدار سخطهم على كل قول يناهض تلك المثل الإسلامية الرفيعة أو يشجع الرذائل ويشجع الفاحشة ومساوئ الاخلاق في الناس أو يؤثر الدنيا على الآخرة"[2].

ب- المعايير الفنية:

رأينا النقاد فيما تقدم يقيمون الشعر بالنظر الى ملائمة محتواه للأخلاق والدين، غير أن الاهتمام بالمضمون الديني والأخلاقي للأدب، لا يعني اهمال الجانب الفني فيه، لأن اغفال الجانب هذا الجانب في الأدب يؤدي الى مساواته بغيره من أصناف الكلام، كما ينتهي بالنافد الى إنزال الاعمال الفنية في منزلة واحدة مهما اختلفت حظوظها من الجودة الفنية التي تعد شرطا رئيسا في التمييز بين الادب وأضرب الكلام الأخرى، وتترتب عليه من ناحية أخرى تسوية بين المبدعين الحقيقين وبين المتطفلين عن الابداع، لأن القول مضمون ملتزم بالقيم الدينية والأخلاقية لا يعني البتة ان المبدع سيحد هذا المضمون جاهزا أو كالجاهز ويقدمه لجمهوره في صورة وعظ وارشاد مباشرين، فلو كان ذلك هو المطلوب، لانسحبت صفة المبدع على

[1] ابن قتيبة الشعر والشعراء ص 152.

[2] بدوي طبانة دراسات في النقد الادب العربي مطبعة الانجلو مصرية ص21.

كثير من الناس، ولما حق لنا أن نتحدث عن تمايز في القدرات الإبداعية من مبدع وآخر، فالمسألة في الفن لا تتوقف على طبيعة المحتوى الذي يقدمه الفنان فحسب بل تتوقف أيضا على كيفية تقديم هذا المضمون.

لأنه ليس من غاية الادب "ان يعطينا حقائق علمية ولا قضايا فلسفية، ولا شيئا من هذا القبيل، كما أنه ليس من غايته أن يحقق لنا أغراضا تجعله محورا في نطاقها مصبوبا في قوالبها، ليس الادب مكلفا ان يتحدث مثلا عن صراع الطبقات ولا عن النهضات الصناعية، كما انه ليس مكلفا ان يتحول الى خطب وعظيه عن الفضيلة والرذيلة، ولا عن الكفاح السياسي والاجتماعي في صورة معينة من الصور الوقتية الزائلة، وذلك الا أن يصبح أحد هذه الموضوعات تجربة شعرية خاصة للأديب، تنفعل بها نفسه من داخلها، فيعبر عنها تعبيرا موجبا مؤثرا"[1].

فقد نجد مجموعة من الفنانين يستلهمون قيما ومثلا واحدة في أعمالهم الإبداعية لكننا نتأثر لبعضهم دون بعضهم

فالتشكيل الجمالي في العمل الأدبي عنصر جوهري فيه، وهو من أهم الجوانب التي يتوقف عليها نجاح المبدع أو إخفاقه في تقل التجربة، لأن قيمة الأدب بالنسبة الى متلق معين لا يحددها محتواه فحسب، بل للجانب الجمالي فيه أهمية أيضا فالأدب لا يستحق أن يوصف بهذا الاسم الا على سبيل المجاز اذا كان هذا الجانب فيه ضعيفا، ناهيك ان يهمل اهمالا كاملا، فالمضمون مهما كان هادفا لا يمكن أن يؤدي وظيفته الحقيقية اذا كانت الأداة التي يقدم بها رديئة لأن الأداة هي وسيلة المبدع الى نفس المخاطب ليحمله على الانفعال والتأثر بالمحتوى الذي يقدمه له، ومن ثم اتخاد موقف منه، لذلك فإن أقبح الشعر هو ما كان

[1] حازم القرطجاني منهاج البلغاء وسراج الادباء تحقيق محمد الحبيب بن خوجة تونس ص 36.

قبيح المحاكاة والهيئة وان كان موزيا ومقفى كما قال حازم القرطجاني:" لأن ما كان بهذه الصفة من الكلام الوارد في الشعر لا تتأثر النفس لمقتضاه، لأن قبح الهيئة يحول فيه الكلام وتمكنه من القلب"[1].

فلما كان للجانب الفني فب الأدب هذه المكانة، فانه من الأهمية بمكان ان نتساءل عن المعايير الفنية التي كانت يستند اليها النقد في صدر الإسلام في تقييم الاعمال الشعرية، وفي هذا المضمار ينبغي أن نكون على بينة من ان الإسلام لم يكن خصما للقيم الجمالية في الكلام، فالقرآن الكريم قد منح العنصر الفني في التعبير أهمية بالغة، وكان هذا الجانب من اهم الجوانب التي تحدى بها العرب فاقروا عجزهم عن مضاهاته فيه، على الرغم من انهم كانوا امة فصاحة وبيان واعترفوا بأثر جمال العبارة القرآنية في نفوسهم، ولم يستطيعوا ان يخفوا اعجابهم بالقرآن الكريم من هذه الناحية حتى أن الوليد بن المغيرة احد الّد الخصوم الرسول (ص) قال حين سمعه يتلو بعض آياته "والله قد سمعت من محمد كلام ما هو من كلام الانس والجن، أن له لطلاوة وإن عليه لطلاوة وان أعلاه لمثر وان اسفله لمغدق"[2] .

إن هذا الابتهار بالبلاغة القرآنية من خصوم الدعوة، الذين لو وجدوا مدخلا للطعن فيه من هذه الناحية لما فوتوا الفرصة على أنفسهم، بعد شاهد على المكانة التي حظي بها الجمال الفني في النص القرآني ويزيد من يقيننا في تقدير الإسلام لجمال التعبير ان العرب لما عجزوا عن الاتيان بمثل ما تحداهم به القرآن لردوا سبب العجز الى ان الرسول (ص) له من أخبار الأمم السالفة ما ليس لهم، فلا يمكن بالتالي أن يجاوره في ذلك فرد عليهم القرآن" يوضح أن مرجع العجز ليس الى مضمون آيات القرآن وسوره، بل مرجعه الى

[1] حازم القرطجاني منهاج البلغاء وسراج الادباء ص 38.

[2] تفسير الزمخشري لسورة المدثر ص 56.

العجز عن مستوى البيان القرآني في الصياغة وسبك المعاني قال الله تعالى: "أم يقولون افتراء، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين"[1].

ويتجلى أيضا هذا التقدير للقيد الفنية في كلام الرسول (ص) فقد قال الجاحظ يتحدث عليه الصلاة والسلام:" لم يتكلم الا بكلام قد حق بالعصمة ونشيد بالتأبيد ويسر بالتوفيق وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة بين حسن الافهام وقلة عدد الكلام ... لم تسقط له كلمة ولا زلت به قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفخمه خطيب بل بيد الخطب الطوال بالكلم القصار...وكم يسمع الناس بكلام قط اعم نفعا ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أنصح معن ولا أبين محتوى من كلامه صلى الله عيه وسلم".

ويؤكد ذلك الرسول (ص) نفسه فهو قال:" اوتيت مجامع الكلم" إشارة اليه عليه الصلاة والسلام الى مكانة كلامه من الفصاحة والبلاغة فقد قال: "ان من البيان لسحر وان من الشعر لحكما"[2].

اذا عدنا الى أخبار التي وصلتنا عن موقف قادة الدعوة الإسلامية من العمالية الأدبية في العصر الجاهلي فإننا نلاحظ أن هؤلاء القادة لم بلغوا هذه الجمالية الغاء كاملا، إنما رفضوا بعض مظاهرها لأسباب دينية، من هذه الزاوية جاء كلام الرسول (ص) وصحابته وما أثر عنهم من خطب خاليا من التزام السجع بالصورة التي عرفت في سجع الكمان الذين كانوا يدعون التنبؤ ومعرفة الغيب في العصر الجاهلي، وكان بعض الخلفاء ينهون الناس عن السجع في الكلام لهذا السبب عينه.

---

[1] سورة هود الاية

[2] ابن رشيق القيرواني العمدة ص 35.

فقد روي أن عمر ابن الخطاب سأل صحارا العبيدي عن مكرمان الفارسية أثناء غزو المسلمين لها فقال صحاري:" يا أمير المؤمنين: أرض سهلها جبل وماؤها وشل وعمرها دقل وعدوها بطل وخيرها قليل، وشرها طويل والكثير منها قليل، ان كثر الجند بها جاعوا وإن قالوا بها ضاعوا، فقال عمر: أسجاع أنت ام مخبر؟ فقال: بل مخبر".

واضح أن علة إنكار السجع علة دينية، فالرسول (ص) وصحابته كرهوا أن يتشهوا أو تيشبه المسلمون بكهان الجاهلية الذين كانوا يبالغون في الآثار من السجع "حتى تنبهم معانيهم وتغمض دلالاتهم، فبكثر عن السامعين الفهم وبكثر الاحتمال والتأويل".

قال د/شرقي ضيف: "ومن المحقق أن الشعراء الذين نبؤا في الجاهلية، وعاشوا في صدر الإسلام، لم يختلفوا في صناعة شعرهم عن آبائهم الا قليلا فقد ظلوا ينظمون شعرهم على الصورة الجاهلية، ولم يؤثر الإسلام فيهم تأثيرا واسعا على النحو ما هو معروف عن الحطيئة وحتى حسان بن ثابت لا نجد في نسيج شعره من الإسلام خيوطا كثيرة، ولذلك لم يخطئ ابن سلام حيث قرن في كتابه طبقات فحول الشعراء هؤلاء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام الى الجاهليين"[1].

فالدكتور شوقي ضيف على حق إذا كان مقصوده أن الشعر لم يعرف تعبيرا من الحركة الجمالية، أما من حيث مضامينه التي كانت تخالف القيم والمثل الإسلامية، فإنها عرفت عند عدد غير قليل من الشعراء تغييرا ملموسا بفضل الحركة النقدية التي كانت تدفع به دوما ليعدل عما يتعارض مع روح الإسلام كما بين ابن سلام الجمحي حينما أخرج بعض الشعراء المخضرمين من طبقة الجاهلين، كما وضع مع حسان ابن ثابت

[1] شوقي ضيف الفن ومذاهبه ص93.

الذي ترجم له في شراء المدينة، فإذا كان تغيير بعض مضامين الشعر. فإن الإبقاء على القيم الفنية للشعر الجاهلي يعبر عن قبول الحركة النقدية لهذه القيم والاستناد اليها في تقدير الشعر.

استخلاصا للمعايير النقدية من الملاحظات التي كان يبد بها النقاد في هذا العهد، الامر الذي يخلق بعض الصعوبة في تحديد معايير حكمه تحديدا دقيقا والاسئلة الأولى هي الصلة القائمة بين المقاييس الفنية في الجاهلية والإسلام.

فالشيء الذي لا نحتاج الى البرهنة عليه في هذا المقام هو المنزلة التي كان يخطى بها امرؤا القيس بين الشعراء الجاهلين وسير هؤلاء على النهج الذي نهجه لهم في الكثير من القضايا الفنية التي المع اليها ابن سلام في طبقاته[1].

إذا تأملنا هذا الحكم فإننا، نلاحظ ان القسم الثاني منه وهو قوله عليه السلام: "... وقائدهم النار" يشير الى ما تضنه شعر امرئ القيس من استهتار مجنون ومن معان مجافية للحق والأخلاق الفاضلة كما يراها الإسلام، أما قسمه الأول: "إن أشعر الشعراء"، وهو الذي يعنينا في هذا المقام، فهو حكم فني يتعلق بالقوى المبدعة عند الشاعر وبأدواته الفنية، فكلمة "أشعر" تتضمن الاعتراف للشاعر وديباجة جميلة لا يداخلها الاضطراب والخلل على صياغتها صياغة رصينة في لغة منخلة وديباجة جميلة لا يداخلها الاضطراب والخلل فأساس الحكم النقدي هنا يقوم على اهتداء الشاعر الى صعان لم يسبق اليها بإقامة الحكم التجديد في المعنى قد يوهم بالوقوع في تناقض مع قولنا في موضوع سابق.

[1] ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء ص 125.

إن النقاد في هذا العهد حاولوا ربط الشعر بالقيم والمثل الإسلامية، فقد يفهم أن الارتباط بالمضامين الإسلامية يعني إقامة عوائق حيال كل تجديد، وألحق أن الالتزام بالروية الإسلامية في معالجة المبدعين أي موضوع من الموضوعات.

وقد روي الإمام علي رضي الله عنه كلام قدم فيه امرؤا القيس أيضا، فلما سأل عن سبب تقديمه على الشعراء قال: "لأني رأيتهم أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة"[1].

فميز أن التقديم هنا على سبق أمرؤا القيس على الشعراء الى جواهر المعاني وابتكار في طرائق الشعر على حسن بديهته التي كانت تسعفه على القول دون كبير عناء"[2].

وقد كان صدق الشاعر في تعبيره عن تجربته وافصاحه عما يحس به معيارا مهما من المعايير التي عني بها النقاد في هذا العهد، ومعلوم وان ثمة هناك فرق بين الصدق والصدق الأخلاقي، فالصدق التي يعني بها صدق المبدع في إعرابه عما يشعر به بصرف النظر عن موافقة كلامه للواقع الخارجي وكما نراه أو مخالفة له، وبصرف النظر عن اتفاقه مع الحق أو تعارضه معه، فقد روي أن الامام علي رضي الله عنه قال: "لو أن الشعراء المتقدمين فهم زمان واحد ونصيب لهم راية فجروا معا علمنا السابق منهم، وإذا لم يكن فالذي لم يقل لرغبة ولا لرهبة، فقيل من هو؟ قال: الكندي"[3] .

إذا ارجأنا الحديث عن الشعر الأول من هذا الكلام فإننا نلاحظ ان الامام علي يقدم الكندي لأنه لم يقصد بشعره مدح شخص رغبة في مكافأته، وإنما قال هذا الشعر إصغاء لنفسه واستجابة لما يعتمل بين أضاءه من أحاسيس ومشاعر، فإذا تأملنا الموقفين الاولين بدا لنا أن احتمال الافتعال فيهما كبير جدا،

[1]المصدر نفسه ص 19.

[2] ابن رشيق العمدة ص 66

[3]المصدر نفسه ص 186.

فقد تدعو الرغبة في صلات الآخرين وثوابهم الشاعر الى التملاق وقول ما لا يعتقد، فيكون كلامه صادرا عن لسانه لا عن جنانه، والنحو في مع ماله من أثر في استثارة المشاعر وتحريكها، فإنه قد يوقعه أيضا في تضخيم الشخص الذي يسعى الى اتقاء شره، فينسب إليه صفات وأفعال أبعد ما تكون عن الحق وعن اعتقاده، وفي كلا الموقفين يكون الشاعر غير صادق مع ذات نفسه ولا محورا لما يحسه على الحقيقة، خلافا لما يكون عليه في موقف الثالث الذي لا يصدق فيه الى بلوغ غايات نفعية إنما يقول استجابة كا أثير في نفسه من انفعالات فنية، سواء كانت بواعثها سارة أم محزنة مؤلمة.

وفي هذه الحالة يكون الشاعر أصدق في التعبير عن طويته وأبعد من الاقتعال والتلفيف، وهذه هي الصفة التي قدم بها الامام على امرؤا القيس تقديرا منه لمقياس الصدق في التعبير عن التجربة.

على أنه لا ينبغي آلا نفهم مما تقدم أن جميع القصائد التي قيلت في أغراض ذات طابع نفعي كانت خالية من الصدق الفني، فالحاجة مثلا قد تدفع الشاعر الى الاعراب عن حاله وأمله في جيرها بصدق كبير، والرغبة في العفو وتفادي سطوة سلطان متجبر يمكن أن تثمر شعرا في أعلى درجة من الصدق في تصوير العواطف، لأنها لا تخلو من البواعث الحقيقية للانفعال الفني في الذات المبدعة.

ومن أمثلة على ذلك زهير بن أبي سلمى على الرغم من أنه تكسب بشعره فإن عنصر الصدق بمفهومه الأخلاقي والفني لم يكن غائبا في قصائده، حتى جعل عمر بن الخطاب من أسباب تقديمه أنه: كان لا يقول الا ما يعزف ولا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه، وهنا نلاحظ التقام مقياسي في الصدق في نقد عمر الصدق الأخلاقي الذي هو نقيض الكذب، والصدق الفني وهو مجيء الكلام صورة لما يحس به المبدع غير ناظر الى توافقه مع الواقع الخارجي.

ويمكن أن نضيف فيه مقياس التجويد الفني للعبارة، وقد ألمعنا الى شيء من هذا في شرحنا موقف الرسول (ص) من شعر امرؤا القيس حيث قال عبارته عليه الصلاة والسلام تتضمن الإشارة الى قدرة امرئ القيس على صياغة المعاني صياغته مؤثرة في لغة ما فيه وديباجة مشرقة، تتم صورة هذا المعيار بكلام لعمر بن الخطاب يقدم فيه إمام مدرسة الظفه في الشعر الجاهلي لأسباب منها أنه "كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع حوشيه"[1].

الاوصاف التي اشتمل عليها هذا الحكم النقدي في تعلق كلها بالعبارة وعناصرها، فالمعاظلة هي تعليق الشاعر ألفاظه ببعضها تعليقا يفضي به الى الاخلال بالمعنى وإحداث الغموض في الكلام، اما وشي الكلام فالمراديه الألفاظ الغربية النادرة التي تتسبب أيضا تعمية المعنى وحجته عن الأذهان. فالمعيار هنا كما هو بين يتصل بجمالية العبارة، فعناصرها الأولى وهي الألفاظ المفردة ينبغي أن تكون متحيزة منتقاة، أما العبارة ذاتها فينبغي أن تكون أو يحسن التأليف بين عناصرها وأن تكون أجزاؤها متلاحمة قويا خالية من الضعف والركاكة ومن كل ما من شأنه أن يلحق خللا بالمعنى، ومثل هذه الشروط الفنية المستفادة من كلام عمر في سهم اسهاما إيجابيا في عملية الإبلاغ والتبليغ والإلحاح في التجويد الفني للعبارة له أقوله في الحقيقة في مدرسة الصنعة في الشعر الجاهلي.

واستمر بعد ذلك مع أفراد هذه المدرسة الذين امتد بهم العمر الى العصر الذي ندرسه من أمثال كعب ابن الزهير والحطيئة الذين يعدون مخضرمين وكان يقول: **"خير الشعر الحولي المحك"**[2].

[1] الجاحظ البيان والتبين دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة

[2] المصدر نفسه ص

فالشاعر حيث ينعطف على القصيدة بعد ابداعها إنما يمارس على شعره عمل الناقد وهذا ما سمح لنا القول بأن شهود الشعراء هذه المدرسة في تثقيف أشعارهم وتوفير شروط الجودة الفنية لها، تؤكد منزلة المعار الفني في الحركة النقدية في صدر الإسلام.

فهناك ملاحظات نقدية أخرى يمكن أن نلقي مزيدا من النور على أهمية الجانب الفني عند نقاد هذه الفترة.

فقد روي عن الهاشمي قوله: ولقد أنشدوا عمر الشعر لزهير ابتهوا الى قوله:

إن الحق مقطعه ثلاث ** يمين أو نفار أو جلاء

قال عمر كالمتغض من علمه بالحقوق وتفصله فيها واقامته اقتسامها:

وإن الحق مقطعه تلاث ** يمين أو انفار أو جلاد

يردد البيت من التعجب.

وأنشدوه قصيدة عبدة بن الطبيب الطويلة التي على اللام فلما بلغ المنشد الى قوله:

والمرء ساع لشيء ليس مدركه ** والعيش شح وإشفاق وتأصيل

قال عمر متعجبا "والعيش شح واتفاق وتأميل" وهدا يدل عن حسن ما قسم وفضل

إن مرجع استحسان عمر حسن التقييم وصحته في هذه النماذج التي انشدت عليه، ليس ما فيها من إصابة الحق فحسب، بل مرجع ذلك أيضا الى ما فيها من فن وبراعة في تحقيق الإيقاع الداخلي للشعر فقد وفر حسن التقسيم للأبيات التي ورت فيها نوعا من التناغم بين معنيها، جاءها من قسمة الكلام

قسمة مستوية، ومن تجانس الأقسام وبعدها من التداخل مع استعمال القسمة جميع أجزائها. وهذا راجع الى الكتب النقدية القديمة، كما تحققت القسمة من ترجيع بين معاني الشعر الادبي شعرا كان أم نثرا[1]

هذا الترجيع الذي لم يحقق على بعضهم ما يتعب من إيقاع على مستوى اللفظ يأتيه مما تفرضه عليه صحة التقسيم من ترتيب وشيق.

قال حازم: "القسمة اذا تمت وسلمت من خلل الداخل فيها من حيث ذكر وطابق حسن تركيب العبارة فيها وحسن ترتيب المعاني كان الكلام بذلك أفيق الديباجة قيم الرواء والهيئة"[2].

[1] أبو الهلال العسكري الصناعتين ص

[2] حازم القرطجاني منهاج الادباء وسراج البلغاء ص

خاتمة

خاتمة:

في نهاية هذه المحطة توصلت الى النتائج التالية:

- يمثل الشعر ديوان العرب، وهو من الخصوصيات المتجذرة في هذه الحضارة العربية وخاصة في فترة ما قبل الإسلام.
- ولّد ظهور الرسالة المحمدية مجموعة من التطورات الفكرية والمعرفية مما أثر على الشعر سلبا وإيجابا.
- شهدت فترة صدر الإسلام انتشار بعض القصائد التي تمجد الدين، وتدافع راية الإسلام وتهديب اللسان.
- اتسم النقد في هذا العصر بمجموعة من الخصائص في مختلف الفترات الزمنية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى عهد الخلفاء الراشدين.
- من أهم مميزات الممارسة النقدية في صدر الإسلام نجد المعايير الدينية والأخلاقية والفنية.
- تشكل هذه المعايير بكل أبعادها جوانب ذاتية ذوقية تعكس تلك البيئة وطبيعة الشعر والنقد وكيفية الحكم على الأعمال.
- لا يمكن الجزم أبدا بأن هذه المعايير هي التي تسهم في بلورة النقد.
- من مميزات هذا العصر وخاصة في إجراءاته النقدية غياب بعض الآليات الموضوعية في هذه الممارسة النقدية.
- إن أغلب الشواهد النقدية في هذا العصر تنم عن وعي بهذا المجال وضرورته وتبقى بحاجة الى بحث وتنقيب.

إن هذا البحث يفتح المجال الى إشكالات مختلفة من أجل توضيح طابع النقد في هذا العصر من خلال قراءة جديدة في فكرنا العربي.

هذا البحث محاولة لتقديم صورة عن هذه العملية التقييمية للأعمال الشعرية.

قائمة المصادر
والمراجع

قائمة المصادر:

- القرآن الكريم.
- البخاري، صحيح البخاري، تحقيق طه عبد الرؤوف، دار الذهبية، دار المعارف، من 1261هـ الى 1263هـ.
- أبو علي الحسن القيرواني ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محي الدين عبد، دار الجلال، بيروت، ط1، 1972.
- الأصفهاني أبو علي فرج بن الحسين، الأغاني، مؤسسة الجمال للطباعة والنشر عن دار الكتب، لبنان، ط1، 1965.
- الأصمعي أبو سعيد بن عبد الملك بن قريب، فحولة الشعراء، تحقيق محمد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني، مطبعة المنبرية، 1953.
- الجمحي ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، حققه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط2، 1977.
- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ط1، 1967.
- ابن أثير ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد، المثل السائر في ادب الكاتب ولشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، ط3.
- الجاحظ، بيان وتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م، ج2.
- حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح يوسف، دار الجبل، بيروت.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب الإسلامي، دار المعارف، مصر.

- مرزباني أبو عبد الله محمد بن عمران، الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة، مصر، ط1، 1965.
- صابوني محمد علي، صفوة تفاسير.
- عبد القادر هني، دراسات في النقد الأدبي من الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، ط1، 1993.
- عسكري أبو الهلال، صناعتين، مطبعة بيروت لبنان، ط2، 2003.
- كعب بن زهير، شرح الحسن السكري، نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1369هـ-1950م.

قائمة المراجع:

- النعمان القاضي، شعر الفنون الإسلامية في صدر الإسلام، دار القيمية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1965.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر.
- نجيب محمد البهيتي، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، مؤسسة الخانجي، القاهرة 1976.
- يحيى الجهوري، الإسلام والشعر، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1964.
- يوسف خليف، تاريخ الشعر العربي، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1986.
- يوسف ممدوح حامد، الرواية وأثرها في النقد، دار الجليس الزمان والنشر، عمان، ط1، 1965.
- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب.

فهرس المحتوى